لغز مزرعة الرياح



محمود سالم

لغز مزرعة الرياح

تأليف
محمود سالم



لغز مزرعة الرياح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩ ٢٥٢٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

دعوة على غير انتظار	٧
لا شيء غير المطر	١٣
الليل ... والبحر	١٩
ماذا وراء الضيوف	٢٥
سر الورقة الغامضة	٣١
موسيقى وساندوتشات	٣٧
في غابة النخيل	٤٣
لعبة الأرقام	٤٩

دعوة على غير انتظار

سمع «تختخ» صوت جرس الباب وهو يدقُّ ... كان قد استيقظ لتوِّه من النوم ونظر في ساعته ... الثامنة والنصف صباحًا ... لقد تأخَّر في النوم ... ولكن لا بأس ... فاليوم هو أول أيام إجازة «نصف السنة» ... ومن الممكن أن يتأخَّر ويَستمتِع بدفء الفراش في هذا اليوم البارد ... وسمع رنين الجرس مرةً أخرى في الطابق الأسفل من الفيلا ... ثم سمع الباب وهو يفتح ... ومضَت دقائق ثم أغلق الباب.

ظلَّ جالسًا في فراشه يحدق في فضاء الغرفة نصف المظلمة ... لم يكن هناك ما يفعله هذا الصباح، في الحادية عشرة موعد لقائه مع بقية المغامرين ... وسمع صوت أقدام تصعد السلَّم الداخلي للفيلا ... ثم سمعها وهي تتَّجه إلى غرفته، وعرف على الفور أنها الشغالة «حسنية» ... وسمع دقًّا على بابه فصاح: ادخلي يا «حسنية»؟

دخلت الشغالة وفُوجئ بأن في يدها ورقة مدَّتْها إليه، ثم قالت: برقية لك يا أستاذ «توفيق».

برقية! هكذا فكَّر «تختخ» وهو يمدُّ يده ليتسلَّمها ... وأبقاها في يده دون أن يفضَّها ... حاول أن يُقيم بعض الاستنتاجات حولها ... من أين أنت؟ من الذي أرسلها؟ ماذا يكون فيها؟ الأسئلة المعتادة التي تُحيط بأي شيء ... من أين ... ومن هو المُرسل ... ولأيِّ غرض؟

وهزَّ رأسه مُتضايقًا فلم يصل إلى أي شيء ... وقال في نفسه: يبدو أنَّ ذهني قد تلبد بمرور الوقت دون مُغامَرات ولا ألغاز؟!

وهكذا دون أن يصل إلى أيِّ استنتاج مُحدَّد فتَح البرقية ... وألقى نظرة سريعة على التوقيع ... كان التوقيع «عماد حلمي» ... وتذكَّرَه على الفور ... إنه زميله في المدرسة ... الولد الوسيم الحزين الذي يُقيم مع بعض أقاربه في المعادي بعد اختفاء والده، وسفر والدته الإنجليزية إلى لندن.

ماذا يريد «عماد»؟

وبدأ يقرأ البرقية: توفيق خليل ... ثم العنوان ... ثم السطور التالية:

أرجوكم الحضور فورًا إلى المزرعة. إن أمورًا غامضة تجري هنا ... وأنا وحيد مع عمَّتي العجوز ... أنتظركم يوم السبت.

أحسَّ «تختخ» لأول وهلة بالتوتُّر ... فهناك أمور غامضة وهذه هوايتُهم ... حل الأمور الغامضة ... وبسرعة أخذ ذهنه يتصوَّر ماذا يُمكن أن تكون هذه الأمور وكيف يعالجها هو و«محب» و«نوسة» و«لوزة» و«عاطف» ... و«زنجر» أيضًا ... ولكن عاد سريعًا إلى الواقع ... هل يُمكن إقناع والده ووالدته وبقية آباء وأمهات المغامرين بالسفر إلى «بلطيم» حيث تقع مزرعة «عماد»؟

وبإحساس المغامر اندفع خارجًا من غرفته ... فاغتسل سريعًا ... ثم نزل إلى الطابق الأرضي ... وعرف أن والده ووالدته قد خرجا مُبكِّرَين ... فتناول إفطارًا سريعًا ثم كوبًا من الشاي ... وأمسك بالتليفون، وأخطر المُغامِرين الأربعة بما حدث ... ثمَّ حدد موعدًا بعد نصف ساعة في حديقة منزل «عاطف» حيث تتمُّ اجتماعات المغامرين.

في العاشرة إلا ربعًا تقريبًا ... كان المغامرون الخمسة يتبادَلون التحيات في حرارة برغم أنهم كانوا معًا جميعًا أمس ... ولكنهم كانوا يُحبُّون بعضهم البعض ... وقد نال «زنجر» جزءًا من العواطف الحارة.

قال «تختخ»: كما أخبرتُكم تليفونيًّا ... وصلتني برقية من صديقي «عماد حلمي» ... وأنتم جميعًا تعرفونه.

قالت «نوسة»: إنه ولد لطيف جدًّا ... ويُؤلمني ما أراه في عينيه من حزن!

تختخ: لو أن أيَّ إنسان مكانه لكانت هذه هي مشاعره ... والده اختفى في ظروف غريبة، وعادت أمه الإنجليزية إلى بلادها ... لظروف خاصة ... وهو يعيش وحيدًا مع بعض أقاربه.

عاطف: دعونا من العواطف ... ماذا سنفعل؟

تضايقت «لوزة» وقالت: لماذا أنت قاسٍ هكذا؟

عاطف: أخشى أن تُحوِّلوا الاجتماع إلى مأتمٍ للعزاء ... وأمامنا قرار لا بدَّ من اتخاذه هل سنُسافر أم لا؟

وردَّت «لوزة» في عناد: سنسافر طبعًا ... صديق في محنة ... وأمور غامضة ... ومزرعة بعيدة ... ماذا تريد أكثر من هذا لنسافر؟

عاطف: نحتاج إلى موافقة أسرنا!

تحدَّث «محب» لأول مرة فقال: أعتقِد أنهم لن يُمانعُوا ... فقد حقَّقنا جميعًا نتائج مُمتازة أثناء النصف الأول من السنة الدراسية، وسنَطلُب هذه الرحلة كجائزة مُقابل عملِنا باجتهاد وحصولنا على النتائج الطيبة!

تختخ: في هذه الحالة ... سنتحدَّث تليفونيًّا الساعة الرابعة بعد الظهر ... وإذا حصل كل منَّا على مُوافَقة أسرته ... فيتمُّ تجهيز حقائب السفر ... ولاحظوا أن الجو سيكون أشد برودة في «بلطيم» ... فاستعدوا بملابس ثقيلة؟

قالت «لوزة»: وهل سيأتي «زنجر» معنا؟

قال «عاطف» ضاحكًا: إذا وافقتْ أسرته!

ولم يتمالك الأصدقاء أنفسهم فضحكوا جميعًا، وقال «تختخ» وهو يتجه إلى باب الحديقة: أعتقد أنه يأتي معنا ... وباعتباري ولي أمره ... فقد وافقتُ على سفره ... فما دامت هناك أمور غامضة ... ف «زنجر» لا بدَّ أن يكون موجودًا!

بين الساعة الرابعة والخامسة بعد الظهر تمَّت الاتصالات التليفونية ... وتوالَت الأنباء المُفرحة ... وافقت أسرة «محب» و«نوسة»، ووافقَت أسرة «عاطف» و«لوزة» ثمَّ وافقَت أسرة «تختخ»، وهكذا تحدَّدت الساعة السادسة صباحًا موعدًا للقاء في محطة «المعادي» للحاق بأتوبيس السابعة والربع الذي يُغادِر المحطة في «باب الحديد» في هذا المَوعِد إلى «بلطيم»، ومن باب الاحتياط قام «تختخ» بالاتصال بالمفتش «سامي» وأخطره بالرحلة ... وتمنَّى لهم صديقهم المفتش رحلة طيبة ... ورجاهم كالعادة ألا يُعرِّضوا أنفسهم للمَخاطر ... ولم تكَد الساعة تدق الثامنة مساء حتى أوى الجميع إلى مضاجعهم للحصول على أكبر قدر من النوم والراحة ... فقد سافروا إلى «بلطيم» من قبل، ويعرفون أن الرحلة شاقة ولا تقلُّ مدة السفر عن أربع ساعات ... ثمَّ إن المزرعة التي طالما حدث «عماد» «تختخ» عنها ... تبعد عن بلطيم نحو عشرين كيلومترًا ... جزء منها لا تَسير فيه السيارات، بعد أن طفت مياه البحر على شواطئ الدلتا الشمالية، وغمرت أجزاء كبيرة منها بالمياه.

وعندما أوى «تختخ» إلى فراشه أخرج خريطة لمنطقة بحيرة «البرلس» حيث تقع «بلطيم» على شاطئها الشمالي الغربي ... ثم وضع نقطة على المكان الذي توقع أن تُوجد فيه المزرعة التي تحمل هذا الاسم الغريب «مزرعة الرياح»، وفي نفس هذا الوقت كانت «نوسة» تتحدث مع «محب» قائلة: هذا الاسم غريب ... إنه يُثير في النفس نوعًا من الحزن أو الأسى ... أليس كذلك؟

رد «محب» وهو يشدُّ الأغطية على جسمِه: إنكِ قارئة واسعة الخيال ... ولست أرى إلا أن صاحب التسمية رجل مُختلُّ التفكير ... أو أن رياحًا قوية اعتادَت أن تهبَّ على المزرعة فحملت هذا الاسم.

قالت «نوسة»: على العكس ... إنه ليس مُختل التفكير ... إنه رقيق الحس ... إنَّ الاسم يُذكِّرني باسم رواية مرتفعات «وذرنج» التي كتبتها الأديبة الإنجليزية «شارلوت برونتي» ... إنه يشبه النغمة الحزينة.

رد «محب» وهو يُعطيها ظهره: غدًا على كل حالٍ سنَرى مزرعة الرياح ... وربما تُغيِّرين رأيك في هذا الكلام.

وأطفأ «محب» النور وغاص تحت الأغطية في فراشه ... بينما ظلت «نوسة» مستيقظة فترة من الوقت قبل أن تستسلم لسلطان النوم.

في السادسة من صباح اليوم التالي، كان المغامرون الخمسة و«زنجر» يقفون على محطة المعادي وكان اليوم باردًا، بل شديد البرودة، وقد اختفت الشمس خلف سحاب أسود منخفض ... ولما كان اليوم يوم جمعة ... فلم يكن هناك عدد كبير من المسافرين في هذا الصباح الباكر ... وهكذا وجدوا لأنفسهم أماكن للجلوس ... وقبع «زنجر» بجوار «لوزة» ... وأخذ يَرقُب الطريق عبر زجاج النافذة، وهو يتساءل عن هذا السفر المفاجئ في هذا البرد ... ويتذكَّر كُشكَه الخشبيَّ الدافئ ويتمنَّى لو أعفاه المغامرون من هذه الرحلة السخيفة ... ولكن يد «لوزة» الحانية جعلته يعاود النظر في المسألة ... كيف يبقى وحيدًا وهم مسافرون!

بعد أربعين دقيقة كان المغامرون الخمسة في باب الحديد ... وعند الباب الخلفي للمحطة الضخمة كان موقف سيارات «بلطيم» ... وركبوا الأتوبيس ... وبالطبع قطعوا تذكرة للسيد «زنجر» الذي بدأ يستمتع بالرحلة بعد أن تغلَّب على البرد.

انطلق الأتوبيس في موعده ... وسرعان ما غادر منطقة شبرا المزدحمة، وأخذ يزيد سرعتَه منطلقًا على الطريق الزراعي السريع ... وقالت نوسة: ما زال الجو باردًا ويُنذِر بالمطر!

رد «تختخ»: نرجو ألا تُمطر حتى نصل إلى المزرعة ... فالأمطار على السواحل الشمالية عادة أغزر من المناطق الوسطى في الجمهورية ... وستُصبح الطرق زلقة ويصعب السير عليها.

ولكن تمنِّيات «تختخ» لم تتحقَّق، فلم يكد الأتوبيس يصل إلى مدينة كفر الشيخ حتى أخذت السماء تُرسل رذاذًا ناعمًا خفيفًا ... بدأت الأرض بعده تلمع بالماء ... وتوقف

الأتوبيس في المحطة، ونزل الأصدقاء إلى مقهًى صغير وطلبوا شايًا وأخذوا يرمقون السماء بعيون قلقة ... وبعد نصف ساعة توقفها الأتوبيس في كفر الشيخ ... عاد المغامرون إلى أماكنهم ... وانطلق الأتوبيس، وقد بدأ الرذاذ الناعم يتحوَّل إلى مطر غزير وبدأت مسَّاحات الزجاج تعمل رائحة غادية.

وبدأ الأتوبيس الضخم يترنح من جانب إلى جانب كأنه يرقص ... وأحس المغامرون أن قرار الرحلة لم يكن مُناسبًا في هذا الجو ... خاصة وأن المطر بدأ يتحوَّل إلى سيل تدفعه الرياح الهوجاء.

لا شيء غير المطر

عند قرية «الحامول» القريبة من «بلطيم»، توقَّف الأتوبيس تمامًا عن السير ... وأعلن السائق أن أيَّ مُحاولة للتقدم بعد هذا تُعتبَر انتحارًا ومُغامَرة بأرواح الركاب ... وأنه لن يتقدم خطوة واحدة حتى يتوقف المطر تمامًا ... ثم يتحرَّك بعدها بساعة عندما تجف الأرض نسبيًّا ... ونزل الركاب الذين بقوا في الأتوبيس ولم يكن عددهم يَزيد على العشرة ... ونزل المغامرون الخمسة أيضًا ... وأسرع كلٌّ من نزل يَحتمي من المطر بسقف المقهى الصغير حتى ضاق بمن فيه ... وأشار «تختخ» إلى الأصدقاء ليحتموا من المطر بجانب عشة من البوص والحطب ... ووقفوا جميعًا وقد وضعوا أيديهم في جيوبهم ... ينظرون إلى الأرض الخضراء الواسعة والمطر يَهطل عليها مدرارًا ... والأشجار الكبيرة وقطرات المطر السميكة تنزل من أوراقها وأغصانها ... وعلى امتداد الرقعة الزراعية بعيدًا في الأفق الأسود بدت مدينة بلطيم ... مجرَّد شبح ضخم يربض عند الأفق ... ولأنَّ المدينة عالية عن الأرض فهي مقامة على مجموعة من التلال المرتفعة ... بدت من بعيد كأنها معلَّقة بين السحب ... كان كل شيء يدعو للأسى والضيق، لولا أن «عاطف» قال فجأةً: ماذا دهاكم ... يبدو كأننا ذاهبون للعزاء؟!

واندفع بعض الحماس إلى قلوب المغامرين عندما مضى الفتى المَرِح يقول: السماء تمطر ... أليس هذا طبيعيًّا في الشتاء ... الرحلة شاقَّة أليس أمرًا عاديًّا بالنسبة للمُغامرين الخمسة الذين طالما اجتازوا الأهوال؟!

قالت «نوسة»: معك حق يا «عاطف» ... لقد استسلمنا للتعاسة!

عاطف: أكثر من هذا سأجد لكم حلًّا للموقف فورًا. ودون انتظار ... دق «عاطف» باب العشة ... ونظر إليه المغامرون في استنكار ... ولكنه لم يهتم، بل مضى يدقُّ وسرعان

ما فتح الباب الخشبي القديم ... وأطل وجه فلاحة عجوز ... فقال لها «عاطف»: هل أجد ماءً للشرب يا عمة؟

ردت السيدة: طبعًا يا ولدي ... ولكن لماذا تقفون هكذا في البرد؟

عاطف: توقف الأتوبيس عن السير بسبب المطر ... ونحن ذاهبُون إلى «بلطيم»!

قالت السيدة: يحدث هذا كثيرًا ... تفضلوا بالدخول.

نظر «عاطف» إلى المغامرين مُبتسمًا، فقال «تختخ»: ولكن يا عمة ... قد نضايقك!

قالت السيدة بلطفٍ شديد: على الرحب والسعة يا أولادي ... شبر من الأرض يتسع للأحباء ... تفضلوا.

ودخل الأصدقاء وبينهم «زنجر» الذي أسرع بالدخول خشية أن ينسوه ... وكانت دهشتهم شديدة ... لأن العشة كانت دافئة ... ولكن دهشتهم زالت عندما وجدوا في جانب العشة «كانونًا» مشتعلًا ... وبجواره ولد صغير وبنت يتناولان الطعام.

قالت السيدة وهي تمدُّ يدها بكوب الماء إلى «عاطف»: إن ولدي وزوجته ذهبا إلى السوق في القرية المجاورة، ولن يعودا قبل المساء ... وهذان طفلاهما.

مدت «لوزة» يدها في حقيبة يدها، وأخرجت قطعتي شيكولاتة وقالت: أرجو أن يقبلا منِّي هذه الهدية البسيطة يا عمة.

فرح الطفلان كثيرًا بالورق الملوَّن ... وتركا الطعام وانهمكا في أكل الشيكولاتة ... أما السيدة العجوز، فأخذت تعدُّ الشاي على «الكانون» الذي أحاط به الأصدقاء يلتمسون الدفء في نيرانه المشتعلة وقد غرق كلٌّ منهم في خواطره، فساد الصمت إلا من صوت المطر المتساقط على سقف العشة ... ولم تَمضِ سوى دقائق قليلة حتى قدمت لهم السيدة العجوز الشاي ... ومعه طبق من الجبن القديم يسبح في «المش» الأحمر ... وبعض عيش «البتاو» الجاف، فانهمكوا جميعًا في تناول الطعام الفلاحي اللذيذ ... وهم يُمطرون السيدة العجوز بعبارات الشكر على كرمها المصري الأصيل.

وعندما انتهى الأصدقاء من طعامهم خرج «محب» يرى الموقف ... وفوجئ أن الركاب قد تلاشوا تقريبًا عدا قليل منهم ... بينما أغلق السائق عليه نوافذ وأبواب الأتوبيس واستغرق في النوم ... وكانت الطرقات والحقول قد تحوَّلت كلها إلى بِرَك من الماء ... وبدا واضحًا أنه من الصعب أن يتحرك الأتوبيس مرةً أخرى هذا اليوم ... ونظر «محب» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت الثانية والنصف بعد الظهر ... ومعنى ذلك أنه لم يبقَ على هبوط الظلام إلا ثلاث ساعات أو أقل ... فماذا يفعلون؟

عاد «محب» بالسؤال إلى المغامرين الذين أخذوا يناقشون الموقف، وسمعتهم السيدة العجوز فقالت: إلى أين أنتم ذاهبون يا أولادي؟

قال «تختخ»: إلى «بلطيم» يا عمة، وبعدها إلى مزرعة صديق لنا.

هزَّت السيدة رأسَها قائلة: لن تستطيع أيَّة عربة أن تسير على الأرض الزلقة ... وقد شاهدنا حوادث كثيرة في الشتاء ... وليس هناك سوى حل واحد.

التفت إليها الأصدقاء متسائلين ... فقالت: أن تستخدموا الحمير ... الحمار لا يقع أبدًا في الوحل فهو مدرَّب على السير فيه!

قال «تختخ»: وكيف نَحصُل على الحمير يا عمة؟

ردت السيدة العجوز: بعد قليل سيَصل ولدي وزوجته من السوق ومعهما حمارنا ... ومن الممكن استئجار حمارَين آخرين من الجيران ... لقد كنتُ أتمنَّى أن أدعوكم إلى قضاء الليل هنا ... ولكن المكان لا يليق بكم.

قالت «نوسة»: إنك يا عمة في غاية الكرم ... بارك الله لكِ، ونحن موافقون على استئجار الحمير.

مضت ساعة أخرى ... وتوقف المطر ... وسمع المغامرون صوت حوافر الحمار الهادئة وهي تقف أمام الباب ... وأسرعت السيدة العجوز تفتح لابنها وزوجته ... وكانا محمَّلَين بمشتريات السوق من أغذية وفاكهة ... سعيدَين رغم مياه المطر التي كانت تقطر من ثيابهما ... وخلال الدقائق التالية تم التعارف بين «جودة» وزوجتِه والمغامرين.

وشرحت السيدة العجوز لابنها ما جرى، فقال: وإلى أين أنتم ذاهبون بعد بلطيم؟

قال «تختخ»: سنَذهب إلى «مزرعة الرياح»!

بدت الدهشة والتوجُّس على وجوه الثلاثة ... وقال «جودة»: مزرعة الرياح؟ إنها في مكان مُتطرِّف من شاطئ البحر ... وهي مزرعة منكوبة وسيئة الحظ لكلِّ مَن دخلها.

تختخ: لماذا؟

جودة: لا أدري ... ولكن الذين ذهبوا إليها — ولستُ منهم — عادوا يحكون قصصًا وحكايات مفزعة عن أصوات تَصدُر هناك ... وعن سيدة عجوز تُقيم وحدها مع خادمٍ أخرس وأبكم ... وأشياء أخرى.

قالت العجوز مُعلِّقة: لماذا تذهبون إلى هذا المكان المشئوم يا أولادي ... إنكم تُعرِّضون حياتكم للخطر ... عودوا إلى بلدكم ... ولا داعيَ لهذه الرحلة.

صمت الأصدقاء وتبادلوا النظرات، ولكن «محب» المندفع قال: لنا صديق هناك يا عمة طلب منا زيارته وموعدُنا معه اليوم.

ثم التفتَ إلى «جودة» وقال: نُريد استئجار ثلاثة حمير تحملنا إلى هناك وسندفع لك ما تطلب.

هرش «جودة» رأسه وبلل شفتيه ثم قال: سيهبط الظلام بعد قليل، ولن نصل هناك قبل صلاة العشاء.

تختخ: هذا يُناسبنا جدًّا ... وسنَدفع لك ثلاثة جنيهات!

كان المبلغ مغريًا فقال «جودة»: لا بأس ... سأخرج وأعود إليكم بعد نصف ساعة ...

انهمكت السيدة العجوز وزوجة ابنها في إخراج مشتريات السوق، بينما اجتمع الأصدقاء أمام العشَّة يَتناقشون ... ولم يَحدُث أي خلاف بينهم ... لقد قرروا جميعًا الذهاب إلى «مزرعة الرياح» برغم التحذير الذي سمعوه ... فطالما سمعوا مثل هذه الحكايات المخوفة، عن أماكن كثيرة زاروها.

وفي الموعد الذي حدَّده «جودة» ظهرت الحمير الثلاثة ... وقام المُغامِرون بتوديع السيدة العجوز شاكرين لها فضلها، ثم ركب كلٌّ من «محب» و«نوسة» على حمار و«عاطف» و«لوزة» على حمار ... و«تختخ» السَّمين على حمار وحده، ومعه أكثر الحقائب، بينما ركب «جودة» حماره، وانطلقت القافلة.

سار «جودة» في المقدمة ... ثم «تختخ» ثم «لوزة» و«عاطف» ثم «محب» و«نوسة» ... كان المطر قد توقَّف تمامًا ... ولكن الريح كانت ما زالت تهبُّ بشدة عبر السهول الواسعة محمَّلة برائحة الزرع والطين ... وأخذت ملامح مدينة «بلطيم» تتضح شيئًا فشيئًا كلما مضوا في سيرهم ... وفي تمام الساعة الخامسة والنصف وصلوا إلى «بلطيم» وبدَت كمدينة مهجورة ... لا أحد في الشوارع، ولولا أضواء الكهرباء المنتشرة في الطرقات الرئيسية لبدت كمقبَرة كبيرة ليس بها إنسان.

كانت بحيرة «البرلس» على يسارهم ... ومياهها الرمادية تمتد إلى ما لا نهاية ... فساروا بمحاذاتها فترة، ثم انحرفوا يمينًا، ومضوا وسط أشجار النخيل المكثفة وقد هبط الظلام تمامًا ... ولم يَعُد عندهم ما يعتمدون عليه في سيرهم إلا غريزة الحمير التي مضت تشق الظلام دون أن تقع في بِرَك المياه المتناثِرة ... أو تنحرف عن خط سيرها الذي كان «جودة» يحدده بالصياح: شي ... شي ... ثم يستخدم عصاته الصغيرة في تعديل خط سير الحمير يمينًا ويسارًا.

بعد نحو نصف ساعة من مغادرة «بلطيم» بدا صوت البحر الهادر يصل إليهم تدريجيًّا ... وازدادت سرعة الهواء وبرودتُه ... وأحست «لوزة» بأسنانها تصطك ... وبعدم

قدرتها على الإحساس بأصابع يديها وقدميها ... وفكَّرت — ربما لأول مرة في حياتها — أن بعض المغامرات والألغاز ليست من اختصاص المغامرين الخمسة ... ولكن قبل أن تَسترسِل في أفكارها سمعت صوت «زنجر» يرتفع فوق صوت الرياح، وهو ينبح بشدة وباهتياج ... وتوقف الحمير عن السير، وأخذت تتراجع في فزع واضطراب ... ودُهشت «لوزة» وقالت لـ «عاطف» الذي كان يجلس أمامها على الحمار: ماذا حدث؟

رد «عاطف»: لا أدري ... لا بدَّ أن خطرًا يواجهنا حتى ينبح «زنجر» بهذه الطريقة، وتوقف الجميع عن السير ... وأخذ «جودة» يُهدِّئ من ثائرة الحمير التي كانت تحاول الانطلاق عائدة ... ولكنه نزل، وأخذ يردُّها. وتقدم «زنجر» وحده في الظلام ينبح بشدة، وسمع المغامرون صوت معركة تدور في الظلام بين «زنجر» وبين عدوٍّ مجهول ... فقفَز «محب» و«تختخ» مُحاولَين اللحاق بـ «زنجر»، ولكن «جودة» صاح بهما: عُودا ... إنهما بعض ذئاب أو ثعالب المنطقة تبحث عن الطعام وتريد مهاجمة الحمير.

قال «تختخ» بصوت مُرتفع فزع: ولكنها ستفتك بـ «زنجر» إذا لم نلحق به!

جودة: وماذا في إمكاننا أن نفعل ... هل معكم سلاح؟

تختخ: لا ... ولكن معنا بطاريات!

وأخرج كل واحد من المغامرين الخمسة بطاريته، وتقدموا بالقرب من المعركة الناشبة، وأطلقوا أضواء الكشافات ... وتقدم «جودة» بشجاعة يُمسك عصاته، ويطلق صيحات عالية ... وعلى ضوء الكشافات بدا عددٌ من الذئاب يتراجع ... وقد وضعت أذيالها بين أفخاذها ... بينما ظل «زنجر» ثابتًا مكانه ينبح في ضراوة ووحشية.

الليل ... والبحر

ابتعدت الذئاب واختفت في النخيل المتكاثف، وقال «جودة»: يجب أن نتقدم سريعًا ... فقد تعاود الهجوم مرة أخرى ... إنها ذئاب جائعة، والذئب الجائع من أشرس الحيوانات.

ومضت قافلة الحمير مرة أخرى حتى تجاوزت غابة النخيل ... ووصلَت إلى شاطئ البحر، وتوقف «جودة» وأشار إلى نقطة سوداء بعيدة يلمع فيها ضوء شاحب وقال: هذه هي مزرعة الرياح ... وصمت قليلًا ثم أضاف: والطريق الوحيد إليها شريط ضيق من الرمال والصخور ... وستكون المسافة شاقة فحافظوا على توازُنِكم.

وصاح بالحمير: حا ... حا ... شي ...

ومضت الحمير الأربعة على الشريط الرملي الضيق ... وكانت الأمواج العالية تتكسَّر على الشريط الساحلي ... وكثيرًا ما تطغى عليه ... وكان المغامرون الخمسة قد أخرجوا بطارياتهم، وأخذوا على ضوئها الخفيف يُراقبون الشريط الرملي وهو يتَّسع أحيانًا ... ويَضيق أحيانًا ... ويتلاشى أحيانًا خلف المياه، حتى كانت الحمير تسير وقد وصلت المياه إلى مُنتصَف سيقانها.

شيئًا فشيئًا تقدمت القافلة وأخذ الضوء الشاحب يتزايد تدريجيًّا ... وبعد نحو ساعة من السير البطيء ... وصلوا إلى ساحة رملية ... تبرُز فيها صخور ضخمة ... وفي ركن من الساحة التي تُشبه الجزيرة ... كانت مزرعة الرياح ... بناءً ضخمًا لا تبدو تفاصيله واضحة في الظلام، مبنيًّا من الحجر والصخر، يبدو كقلعة من قلاع القرون الوسطى ... وقد ارتفعت فوق تلٍّ من الصخور الضخمة ... التي كانت الأمواج العالية تتكسَّر عليها في وحشية ...

وعلى مبعدة نحو مائة متر منها كان ثمَّة مبنًى أصغر حجمًا ... يشبه فيلا صغيرة ... وقد لمعَ فيه ضوء متأرجح.

قال «جودة» وهو ينزل: هنا تَنتهي مهمتي!

رد «تختخ» وهو يمد له يده بالنقود: ولكن يجب أن تقضيَ الليلة معنا!

جودة: لا ... لا بد أن أعود!

تختخ: ولكن يا «جودة» ... هذه الذئاب في الطريق!

جودة: لا تخشَ شيئًا ... سوف أمرُّ على أحد أصدقائي في عزبة النخيل، وهو يملك بندقية يمكن أن نُفرِّق بها الذئاب.

تختخ: هل أنت متأكد أنك لا تحتاج إلى معونتنا ... أو تبقى معنا؟

جودة: لا!

تختخ: إذن مع السلامة ... وشكرًا لكم جميعًا على كرم ضيافتكم!

واستدار «جودة» بحماره، فأدارت الحمير الثلاثة رءوسها وسارت خلفه ... ووقف الأصدقاء في الساحة الرملية يرقبون قافلة الحمير تبتعد ... وكانت الريح تهبُّ بشدة، ولكن «لوزة» لاحظت أنها ليست باردة كما توقَّعت ... وقرَّرت أن تسأل «تختخ» فيما بعد عن هذه الظاهرة.

تقدم الأصدقاء، وكلٌّ يحمل حقيبته ... وسبقهم «تختخ» إلى الباب الخشبي الضخم المسلح بالحديد وأضاء كشافه حتى عثر على زرِّ الجرس فضغط عليه ... ومضت فترة دون أن يظهر أحد، فعاد يَضغط مرةً أخرى ويستمع ... وخُيِّل إليه أنه يسمع هديرًا يشبه صوت ماكينة تدور يخفيها صوت الريح القوية.

فجأةً انفتح الباب ... وظهر على عتبته رجل طويل القامة ... جامد الوجه ... يلبس ما يشبه ملابس البحارة ... ونظر إلى الأصدقاء فقال «تختخ»: نحن أصدقاء «عماد»! لم يردَّ الرجل بكلمة ولكنه أفسح الطريق ... ولم يكَد الأصدقاء يدخلون الصالة الواسعة التي تتوسَّط مبنى مزرعة الرياح حتى شاهدوا «عماد» ينزل سريعًا من سلم حجري يدور حول الجدار ويصل إلى وسط الصالة.

صاح «عماد»: «توفيق»!

وصاح «تختخ»: «عماد»!

وأسرع «عماد» يُلقي بنفسه بين ذراعي «تختخ» الذي احتضنه في محبة، وقال «عماد» بصوت أقرب ما يكون إلى البكاء: لقد يئستُ تمامًا من حضوركم!

قال «تختخ»: كانت الظروف أقوى منا!

عماد: بالتأكيد، قد بذلتم جهدًا رائعًا للوصول في هذا الجو العاصف الممطر!

تختخ: أقدم لك أصدقائي.

وأخذ «عماد» يُبادلهم السلام وهو يقول: لقد قابلتكم من قبل، ولكن لعلكم لا تذكرونني!

وفي هذه اللحظة ... وقبل أن يردَّ أحد ... ظهرت في جانب الصالة سيدة يتراوَح عمرُها بين الخمسين والخامسة والخمسين ... شَعرُها الأسود تناثَرَت فيه شُعَيرات بيضاء ... لها وجهٌ طيب وإن لم يكن جميلًا ... وتضع على عينَيها نظارات طبية ... وتلبس على ثيابها السوداء الثقيلة شالًا من الصوف السميك.

وقدمها لهم «عماد» قائلًا: عمَّتي السيدة «فتحية»!

وأخذت السيدة تسلم عليهم واحدًا واحدًا ... وتُقبلهم في سعادة وهي تقول: لم أكن أُصدِّق أنكم ستأتون ... أهلًا بكم وسهلًا!

وأشارت السيدة إلى الرجل الطويل القامة وقالت: «زنهار» ... ولكن يُمكن أن تدعوه بأي اسم؛ فهو لا يسمع ولا يتكلم.

وأحنى «زنهار» رأسه للأصدقاء في مودة ... وأخذت السيدة تُشير إليه بيديها، وسرعان ما كان يحمل حقائب المغامرين كلها مرة واحدة، ثم يصعد السلم الحجري إلى الطابق الثاني ... ودعت السيدة «فتحية» الأصدقاء إلى الجلوس ... واختارت كرسيًّا بجوار «لوزة» وأخذت تتحدث إليها ... بينما جلس «عماد» بجوار «تختخ» وهمس في أذنه: إنَّ عمتي لا تعرف سبب دعوتكم ... إنني فقط أخبرتها أنكم تُحبُّون أن تقضوا إجازة نصف السنة هنا ... وقد رحَّبَت بحضوركم كثيرًا!

همس «تختخ»: وما هي الأمور الغامضة التي أشرت إليها في برقيتك ...؟

رد «عماد» بنفس الصوت الهامس، وقال: سأزورُك في غرفتك بعد ساعة وأكلمك!

قال «تختخ»: كنتُ أُفضِّل أن يستمع المغامرون جميعًا إلى ما ستقول ... فأنت تعرف أننا نعمل جميعًا معًا ... من المفيد أن يستمعوا إليك مباشرة بدلًا من أن أَرويَ لهم مرةً أخرى ما قلته ... إنهم جميعًا أذكياء وقد يكون من المفيد أن يطرحوا الأسئلة عليك مباشرة.

عماد: إذن سنخرج في الصباح في جولة في المزرعة ... ونتحدث!

تختخ: هذا يناسبنا جدًّا!

عاد «زنهار» ووقف بجوار السلم وأخذ يتفرس الأصدقاء بعينَين نافذتين، حتى شعرت «لوزة» برجفة تسري في جسمها، وقالت السيدة: هل تَتناولون عشاءكم أولًا؟!

من المؤكد أنكم جوعى!

قالت «نوسة»: أفضِّل شخصيًّا أن أغتسل ثم نعود للعشاء!

قالت السيدة «فتحية»: بارك الله فيك يا ابنتي ... هذا كلام العقلاء، هيا إذن جميعًا إلى غرفكم ... وسيُريكم «عماد» أين هي ... وسأقوم مع «زنهار» بإعداد العشاء.

وقف الأصدقاء، وصعدوا مع «عماد» السلَّم الحجري إلى الطابق الثاني ... وكالعادة كانت هناك غرفة لـ «محب» و«نوسة» ... وأخرى لـ «عاطف» و«لوزة» ... ثم كان «تختخ» وحده ... وقال «تختخ»: سنكون جميعًا على مائدة العشاء بعد ربع ساعة.

ساد المغامرين جو من الطمأنينة والراحة بعد عناء اليوم الطويل ... وكانت غرفهم جميعًا مريحة رغم قِدَمها ... وفي الموعد المحدَّد تمامًا كانوا جميعًا ينزلون السلم إلى الصالة التي تؤدي إلى قاعة الطعام ... وسرعان ما كانوا يُحيطون بمائدة من أجمل الموائد التي شاهَدُوها ... كانت تحفة في صناعتها الدقيقة ... وكراسيها العتيقة مُتمشية مع الجو العام للقصر القديم، وأخذت عيون الأصدقاء تدور مبهورة مع اللوحات الرائعة التي تُزيِّن الجدران ... ودواليب الفضيات والصيني التي تغطي الحوائط، والتي كانت لدهشتهم الشديدة فارغة.

كان الطعام مكوَّنًا من البطاطس المحمَّرة الساخنة ... والبوفتيك ... والخضار المسلوق، وكان المغامرون جوعى ... فأحسُّوا أنه أجمل طعام تناولوه ... وكان «زنجر» من نفس الرأي ... فقد أعطته السيدة «فتحية» كمِّية من اللحم أشبعت جوعه.

وبعد تناول العشاء قال «محب»: إنني لم أرَ قصرًا بهذا الجمال من الداخل ... إن شكله من الخارج يتناقَض تمامًا مع روعته الداخلية!

قالت السيدة «فتحية»: إنك لم ترَه عندما كان أخي الأستاذ «حلمي» على قيد الحياة ... لقد قضى حياته كلها يجلب له التحف من جميع أنحاء العالم ... لقد كسب الكثير، الكثير جدًّا وأضاعه كله على هذا القصر، خاصة التحف، والكتب النادرة.

قالت «لوزة»: وأين ذهب كل هذا؟

ولاحظت على الفور أن السيدة «فتحية» و«عماد» قد بدا عليهما الارتباك ... وأن «تختخ» ينظر إليها ... وكادت تستمر في حديثها لولا أن «تختخ» قال: إنه موقع فريد ... وقصر لم نرَ مثله ... ولعلنا نهارًا نستطيع أن نرى بقيته!

قالت السيدة «فتحية» وهي تقوم: إن شاء الله ... تُصبحون على خير!

وأخذ «زنهار» ينظف المائدة، بينما قال «عماد»: هل تُفضِّلون النوم الآن ...؟

تختخ: نعم ... لقد كان يومًا مرهقًا ... وفي الصباح سوف نتحدث.

وتبادل الأصدقاء تحيات المساء مع «عماد»، ثم انصرفوا إلى غرفهم بعد أن اطمأنوا على مكان نوم «زنجر» عند مدخل المطبخ في مكان دافئ.

دخل «تختخ» غرفته ... فجلس على مقعد بجوار الفراش وأخذ يفكر في هذه المغامرة ... كان كل شيء عن احتمال حدوث شيء ما ... ولكن ما هو هذا الشيء؟ ولماذا يُخفي «عماد» مشاعره عن عمته؟ وما هو موقف هذا الرجل «زنهار» من هذه الأحداث كلها؟ ...

كانت هذه الأسئلة وغيرها تطوف بذهنِ «تختخ» ونظر إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت العاشرة ليلًا ... وأحسَّ بأنه في حاجة للنوم ... فخلع ثيابه ... وتمدَّد لينام.

لا يدري «تختخ» كم من الوقت مضى وهو نائم ... ولكنه استيقظ تدريجيًّا على شعور مُبهَم بالتوتُّر ... ظلَّ مُستلقيًا في فراشه ثم فتح عينَيه ... وفُوجئ بأن الدنيا حوله تسبح في ظلام دامس ... فمدَّ يده إلى زر النور الذي يجاور فراشه وضغط عليه ... ولكن الظلام ظلَّ سائدًا ... ظلامًا كثيفًا أحس معه بانقباض ... وجلس في فراشه ... وخُيِّل إليه أنه يَسمع صوت خطوات خارج غرفته، فنزل بخفَّة وأسرع إلى الباب يَفتحه ونظر إلى الدهليز ... وكان يسبح في الظلام أيضًا ... ولكنه استطاع أن يسمع صوت أقدام تبتعد بسرعة ... ولم يتردَّد «تختخ» ... وأسرع خلف صوت الأقدام ووجد نفسه ينزل السلم الداخلي للفيلا ... ووجد الصالة الواسعة تَسبح في الظلام أيضًا ... وأخذ يتحسَّس طريقه وتمنَّى لو كان قد أحضر كشافه معه ... وقبل أن يُفكِّر كيف يَتصرَّف اصطدم بمقعد صدمة عنيفة ... وترنَّح المقعد وسقط محدثًا دويًّا في الصمت السائد ... وأحسَّ «تختخ» بألم عنيف في ساقه ... وسمع صوت بابٍ يُفتح ويُغلق في نهاية الصالة ... ثم ساد الصمت من جديد ...

وقف مكانه لحظات ... ولكن شيئًا لم يحدث ... فأخذ يتحسَّس طريقه عائدًا ... معتمدًا على الحائط حتى وصل إلى السلم فأخذ ينقل أقدامه في هدوء حتى وصل إلى الدهليز، ولم يكَد يتقدم خطوات فيه حتى انطلق ضوء من كشافٍ سقَط عليه ... وأعشى عينيه لحظات قبل أن يسمع صوت «محب» يقول «تختخ» ...

قال «تختخ»: ماذا أيقظك؟

محب: سمعت منذ لحظات صوتًا في الصالة السفلى ... هل كنت هناك؟

تختخ: نعم ... ثمة شخص كان يتلصَّص علينا ... وخرج من القصر.

ماذا وراء الضيوف

دخل «تختخ» و«محب» إلى غرفة «تختخ» ... وأغلقا الباب ... وجلسا ساكنين في الظلام فترة من الوقت يستمعان، لعلهما يسمعان وقع الأقدام مرة أخرى ... ولكن الصمت ظلَّ سائدًا ... عدا صوت الريح التي بدأت تهدأ تدريجيًّا ... وصوت الأمواج وهي تتكسَّر على الصخور الضخمة التي تحيط بقصر مزرعة الرياح ... ثم قال «تختخ»: لا أظن أن صاحب الأقدام سيتحرك مرة أخرى الليلة بعد أن أحس بأنني كنت أطارده.

محب: هل خرج من المبنى كله؟

تختخ: نعم ... فالباب الذي أغلقه خلفه يؤدي إلى خارج القصر من الناحية الغربية!

محب: ألم يقل لك «عماد» شيئًا؟

تختخ: لا ... وقد اتفقنا على أن نتحدث في الصباح، فقد كنا جميعًا متعبين وفي حاجة إلى النوم!

محب: إذن أتركك الآن!

وغادر «محب» الغرفة، واستمع «تختخ» إلى صوت قدميه على الأرض الرخامية حتى وصل إلى غرفته، وأغلق الباب، وتمدد «تختخ» في فراشه يُفكر ... وخُيِّل إليه أنه يسمع صوت دقات منتظمة في مكانٍ ما ... تُشبه ارتطام شيء بالصخور ... ثم انقطع الصوت ومضَت فترة من السكون، استغرق خلالها «تختخ» في النوم ...

كان صباح اليوم التالي مُختلفًا جدًّا عن الأمس ... فقد أشرَقَت الشمس وهدَأت الرياح تمامًا ... وعندما خرج المغامرون الخمسة و«عماد» إلى الساحة الأمامية التي تُطلُّ على البحر شاهدُوا منظرًا من أجمل المناظر التي يُمكن أن يراها الإنسان ... كان القصر يشمل مساحة تزيد على ألف متر مربع ... تحيط به ساحة واسعة من الرمال الصفراء الذهبية، ويُحيط

بالجميع سور من الحجر يَمنع مياه البحر من الوصول إلى الساحة والقصر ... ولكن السور كان محطمًا في بعض أجزائه، واستطاعت الأمواج أن تَنفُذ منه وتغطي جزءًا من الساحة، وكانت هناك صفوف من النخيل تمتد يمينًا ويسارًا كجناحين كبيرين لطير ضخم ... وفي مُنتصَف السور تمامًا كان هناك مرسى للقوارب مبنيٌّ من الصخر ... ثم عند نهاية صفِّ النخيل الغربي ... كان ثمة كوخ من الحجر ... يشبه مُلحَقًا للقصر ... ولاحظ المُغامرون على الفور شخصًا يقف خلف زجاج نافذة هذا الملحق ينظر إليهم.

قال «تختخ»: هل هناك سكان آخرون غيرك وعمتك و«زنهار» ...؟

رد «عماد» بصوت غامض: دعك من الأسئلة الآن يا «توفيق» وتظاهَرُوا بأنَّكم لم تروا أحدًا ... ودعونا نستمر في جولتنا!

طافوا بالمزرعة من الخارج ... وشاهدُوا الشريط الضيق من الأرض الذي يَربطُها بمدينة «بلطيم» ... ودُهشوا كيف استطاعَت الحمير الأربعة السير عليه في الظلام دون أن تقع في البحر ... وكان هناك خطٌّ تليفوني يَربط القصر بالمدينة ... وبعض أعمدته كانت مائلةً بتأثير الرياح ... وتكاد تسقط في المياه.

بعدها، قادَهُم «عماد» إلى الجناح الشرقي للقصر ... وفتح بابًا صغيرًا دخلوا منه، وفوجئوا جميعًا بما شاهدوا ... كانوا أمام أضخم مكتبة خاصة شاهَدُوها ... غرفة واسعة جدًّا ... في نهايتها غرفة أصغر تُشبه مُلحَقًا صغيرًا للمكتبة ... بها مكتب من أروع المكاتب التي يُمكن أن يراها إنسان ... فهو تحفة حقيقية من خشب الأبنوس الأسود المطعَّم بالعاج ... وكانت الجدران كلها مُغطَّاة بأرفف الكتب، ووقف المغامرون وقد أذهلتهم المفاجأة.

قال «عماد»: لقد كان أبي قارئًا عظيمًا ... وهاويًا من هُواة التُّحَف النادرة لا مثيل له ... وقد جمع هذه الكتب من جميع أنحاء العالم ... وبعضُها مخطوطات نادرة تُساوي الكثير ... وأشار «عماد» إلى بعض الكراسي الجلدية المغطَّاة بأغطية من القطيفة الزرقاء الداكنة، وقال: تفضلوا ... لقد طلبتُ من «زنهار» أن يُحضِر لنا الشاي هنا.

وجلس المغامرون ... وقام «عماد» ففتح نافذةً، وتدفَّق نورُ الشمس خلال الزجاج ... ثم فتح بابًا يؤدي إلى داخل القصر، ونظر نظرة خاطفة ثم عاد ... وفتح الباب الصغير الذي دخلُوا منه، ونظر نظرة أخرى ثم عاد.

وعرف المُغامرون أنه يُريد أن يتأكد أنه لا أحد يتجسَّس عليهم.

قال «عماد»: الآن أستطيع أن أتحدث إليكم، وأريد أولًا أن أعتذرَ عما سببتُه لكم من مشقة، ولكن لم يكن عندي من أعتمد عليه سواكم.

قالت «لوزة» باندفاعِها المعتاد: لقد شوقتنا كثيرًا ... ونحن نرجُوك أن تتحدَّث ... ما هي الأمور الغامضة التي تَحدُث في مزرعة الرياح؟

عماد: سأَروي لكم كل شيء ... ولكن لا بد من العودة قليلًا إلى الوراء ... فبعضُ ما يَحدث الآن له جذور في الماضي ... وكل الحديث سيدور حول شخصية أبي ... وسيتَّضح لكم أن كل ما يحدث الآن مُرتبِط بالماضي وبأبي معًا.

وأحضر «زنهار» الشاي، وخرج ... وبدأ «عماد» حديثه قائلًا: لقد رأيتُ أبي على فترات قصيرة مُتقطِّعة ... فقد كان دائمًا على سفر ... فقد كان يعمل في الاستيراد والتصدير، ومركز عمله هو «باريس» ... وعندما كان يَحضُر إلى مصر كان يُضيِّع أكثر وقته في بناء مزرعة الرياح، وتأثيثها ... وكان في كلِّ مرة يَحضُر فيها يجلب معه بعض التحف والأثاث النادر والكتب القيمة، حتى أتمَّ مزرعة الرياح ... وأنا ما زلتُ طفلًا في الخامسة من عمري ... ولي بعض الذكريات عن المزرعة ... قبل أن يَطغى البحر عليها ... والذي لا شك فيه أن أكثر التحف الثمينة قد اختفَت بطريقة لا أفهمها ... والوحيد الذي يعرف كل شيء هو «زنهار»، ولكنه لا يتحدث ولا يبوح بسرٍّ ... ويبدو أن عنده اعتقادًا أن أبي سيعود يومًا ... فأبي لم يختفِ بطريقة عادية ... لقد غرقت السفينة التي كان يستقلُّها، ولم يُعثَر له على أثر.

وصمت «عماد» وبدَت على وجهه ملامح حزن دفين، ثم مضى يقول: منذ عامين اختفى أبي ... وحضرتُ للإقامة مع أمي وعمتي هنا ... ولكنَّ أمي لم تُطِق البقاء في هذا المكان الموحش وحدها ... وسرعان ما قررت أن تعود إلى أسرتها في إنجلترا، وتأخذني معها ... ولكن عمتي عارضت ... وأصرَّت أن أكمل تعليمي في مصر ... وهكذا أقضي فترة الدراسة هنا ... ثم أعود إلى إنجلترا لقضاء إجازة الصيف.

قالت «نوسة»: ولكن لماذا سمَّى والدك هذا المكان بمزرعة الرياح ... رغم أنها ليست مزرعة بالمعنى الصحيح؟ ... كما أن الاسم نفسه يَحمل معنى غريبًا ...

قال «عماد»: لا ... لا أحد يعرف لماذا سمَّى أبي المكان بهذا الاسم الغريب ...

تحدَّث «عاطف» لأول مرةٍ قائلًا: هل هناك سُكان في المكان غيرك أنت وعمتك و«زنهار» والشغالة «سعدية»؟ ...

رد «عماد»: نعم ... في المبنى الملحق بالقصر ... ونُسمِّيه القصر الصغير، ينزل صديق لأبي ومعه خادمه ... والرجل يُدعى مستر «كراون» ومساعده أو خادمُه اسمه «مايلز»، وهما في القصر الصغير منذ عشرة أيام!

قال «تختخ»: هل هما مصدر الأمور الغامضة التي تتحدث عنها؟

رد «عماد» مُندهشًا: كيف عرفت؟

تختخ: ليس هذا الأمر بالمستغرب، ولا يحتاج إلى ذكاء ... ومن المهم أن تفسر لنا سبب وجودهما؟

عماد: إن مستر «كراون» كان شريكًا لأبي في عمليات كثيرة، منها شراء التحف النادرة من الأماكن البعيدة، وبيعها بأضعاف ثمنها للهواة في أوروبا وأمريكا وبعض البلاد العربية ... ويقول إنَّ آخر دفعة من هذه التحف كانت عند أبي ... وقد جاء لهذا الغرض ...

تختخ: وهل وجد التحف؟

عماد: لا ... وقد سمحَت له عمتي التي تُقيم في القصر بصفة دائمة أن يبحث عن هذه التحف في القصر ... وقد بحث ولكنه لم يجد شيئًا.

تختخ: وماذا يبقيه إذن؟

عماد: إنه يعتقد أن التحف مُخفاة في مكان سري من القصر ... وهو يُحاول الحصول على رسومات القصر ليكتشف الأماكن السرية فيه.

فكر «تختخ» قليلًا ثم قال: هل يقوم بعمليات حفر في أماكن في القصر؟

عماد: لا ... ولكن!

تختخ: إنك لا تدري ... إنه يحفر محاولًا البحث عن مدخل إلى الأماكن السرية التي يتخيلها ... وأمس ليلًا كان يَحضُر هو أو مساعده «مايلز» أو هما معًا ...

عماد: هنا نصل إلى الأمور الغامضة ... إن مستر «كراون» ومساعده يتجولان في القصر طول النهار ... يدقان على الجدران ... ويَفحصان قطع الأثاث ... ونظرًا لاتِّساع رقعة القصر وكثرة ما فيه من أشياء ... فإنني أعتقد أن ثمَّة أشياء تختفي دون أن أدري ... كما أن هناك بعض الأشخاص الذين يَحضُرون ليلًا لمقابلة «كراون» ثم ينصرفون دون أن نراهم أو نعرف لماذا حضروا.

قال «محب» باندفاع: ولماذا لا تَطرُد مستر «كراون» هذا؟

فكر «عماد» قليلًا ثم قال: لقد فكَّرتُ في هذا أول الأمر ... ولكني في النهاية قررتُ أن أنتظر لسببين ... أولًا أنَّ مدة زيارة مستر «كراون» قد أوشكت على الانتهاء، لم يبقَ منها سوى خمسة أيام ... ثانيًا أنني متحمِّس فعلًا لأن أكشف أسرار هذا القصر الخفية ... فمن المؤكد أن ثمة تحفًا تُساوي مبلغًا طائلًا مُختفية في مكان ما منه ... وإذا استطاع «كراون» الوصول إليها فسوف أبلغ السلطات المسئولة للتصرف.

محب: ومن يُدريك أنه لم يجدها؟ ... لعله وجدها، ولعله ينقلها خفية مع ضيوفه الذين يأتون ليلًا ... ولعله يتظاهَر فقط بالبحث حتى لا تطرده!

عماد: إنني لم أفكر في هذه النقطة ... وليس هذا بمُستبعَد!

تختخ: هل يأتي الضيوف كل ليلة؟

عماد: لا!

تختخ: على كل حال سنقُوم بالمُراقبة ... وقد نتمكَّن من كشف الحقيقة!

عماد: إنني لا أريد أن أزجَّ بكم في مثل هذه المشاكل، ولكني لم أجد غيرَكم يُمكن أن يهتم بهذا الأمر، خاصَّة وأنه ليس ثمة شيء مُؤكَّد في كلِّ ما يجري!

تختخ: إننا نَقبل عن طيب خاطر أن نساعدك في كشف غوامض هذا الموضوع ... وسنبقى معك حتى رحيل «كراون»!

عماد: لقد أعددتُ لكم نزهة على طول الشاطئ لصيد السمك.

قال «محب» متحمسًا: إنني على استعداد ... فأنا أحب صيد السمك جدًّا.

وافق الجميع على القيام بالرحلة عدا «نوسة» التي قالت: أظنُّ أنني أُفضِّل القيام برحلة داخل هذه المكتبة ... رحلة على الورق ... أو مع الورق ... فليس من المعقول أن أجدَ مثل هذه المكتبة الرائعة ثم أتركها من أجل أي شيء.

وهكذا غادر المغامرون و«عماد» المكتبة الضخمة، بينما بقيت «نوسة» ... كانت تُفكِّر في والد «عماد» ... هذا الرجل الذي طاف العالم من أجل إنشاء هذا القصر ... ثم اختار من القصر هذه المكتبة ليجعلها مكانه المختار ... لو أنَّ وراء هذا الرجل سرًّا ... أي سر ... فأيُّ مكان يضعه فيه سوى مكانه المفضل ... المكتبة؟

سر الورقة الغامضة

جلست «نوسة» وحيدة في قاعة المكتبة الضخمة، كانت هذه هي أكبر مكتبة خاصة شاهدتها في حياتها ... وكانت صفوف الكتب تقف شامخة كأنها صفوف الجنود في استعراض ... وقامت «نوسة» كالمسحورة تقرأ عناوين الكتب ... وكانت المكتبة مقسَّمة كموضوعات، كل موضوع يشمل مختلف الكتب التي تتصل به ... وقد تأنق صاحبها في تجليدها بألوان مختلفة ... فبدت كأنها حديقة رائعة بها ورود وزهور وثمار الفكر الإنساني ... وكان هناك سلَّم مُتنقِّل للوصول إلى رفوف الكتب العليا ... وصعدت «نوسة» على السلم وأخذت تقرأ عناوين الكتب عندما سمعت باب المكتبة يُفتح ... ونظرت إلى القادم فرأت رجلًا طويلًا نحيفًا يدخل في هدوء ... ويبدو أنه لم يكن يتوقع وجود أحد، فقد اتجه على الفور إلى المكتب، وأخرج من جيبه كيسًا جلديًّا ... أخرج منه مجموعة من الأدوات الدقيقة وأخذ يعمل في أدراج المكتب ... وحبست «نوسة» أنفاسها وهي تُشاهده ... كانت تقف على السلم بعيدًا في ركن المكتبة في مكان مظلم نسبيًّا ... وكانت بين قرارين ... أن تتحدث أو تسعل لتلفت نظره إلى وجودها ... أو تظل ساكنة لترى ما يفعل ... وأخذت بالقرار الأخير سريعًا ... فهذا الرجل لا بد أن يكون «كراون» أو مساعده «مايلز» وكلاهما جاء للاستيلاء على التحف النادرة التي جمعها والد «عماد»، وهي في الأغلب سبب الأمور الغامضة التي تجري في مزرعة الرياح ... وهي فرصة ذهبية لترى ماذا يريد الرجل.

أخرج الرجل درج المكتب العلوي ... ثم الدرج الثاني، ثم انحنى وأدخل رأسه في الفتحة التي نشأت عن إخراج الدرجين بعد أن أخرج بطارية صغيرة من جيبه أدخلها في الفتحة ... وانتهزت «نوسة» الفرصة ونزلت بهدوء وحذر إلى أرض المكتبة ثم اختفَت خلف أحد الكراسي الضخمة ... وجلسَت على ركبتَيها وأخذت تطلُّ برأسها على الرجل تُراقب ما يفعل ...

استمر الرجل في العمل فترة، ثم سمعت «نوسة» ثلاث طرقات على الباب، وبسرعة أخرج الرجل رأسه من الفتحة ... وأعاد الدرجين إلى مكانَيهما ... وفي نفس الوقت دخل «زنهار» المكتبة وتوقف عندما شاهد الرجل مكانه ... وأخذا يتبادلان النظرات لحظات، ولاحظت «نوسة» أنها نظرات تفيض بالتحدِّي والكراهية.

كان الإنجليزي مُستندًا على المكتب، ثابت الأعصاب، وقد مد يده فتناول كتابًا وأخذ يقلب فيه ... ومشى «زنهار» داخل المكتبة حتى وصل إلى أحد رفوف الكتب وأخذ كتابًا وخرج ... ودهشت «نوسة» فلم تكن تتصور أن يكون «زنهار» على قدر من الثقافة يسمح له بالقراءة ... خاصة وأن الكتاب الذي أخذه كان من أحد صفوف اللغة الفرنسية ... وبنفس الخطوات السريعة التي دخل بها غادر المكتبة ... وأدركت «نوسة» أن ثمَّة شخصًا يقف خارج المكتبة يُنبه الرجل الذي في داخلها عن حضور أي شخص ... وأحست بالخوف أن يَكتشِف الرجل وجودها ... ولكن رغبتها في كشف أسرار المكان والناس دفعتها إلى الاستمرار ...

عاد الرجل يعمل بعد أن أخرج الدرجين مرةً أخرى ... ولاحظت «نوسة» أنه في المرة الثانية أخرج من جيبه قطعةً من الورق، وأخذ ينظر فيها ثم وضعها على المكتب ...

استمر الرجل يعمل بعض الوقت ... ثم أخرج مجموعة من الأوراق الملفوفة وفردها على المكتب وأخذ يتأملها بانتباه شديد ... ثم أعاد الدرجين إلى مكانَيهما ... وغادر الغرفة ... وانتظرت «نوسة» لحظات ثم أسرعت إلى مكان الدرجين ... وحاولت أن تفتح الدرج العلوي ولدهشتها وجدته مغلقًا ... وأدركت أنها من مكانها البعيد لم تُلاحظ أن الرجل استخدم مفتاحًا في فتح الدرج، ولاحظت أن قطعة الورق الصغيرة التي كان الرجل قد أخرجها من جيبه ووضعها على المكتب ما زالت مكانها ... فمدَّت يدها وأخذتها ... وفي هذه اللحظة سمعت صوت أقدام قادمة من داخل القصر إلى المكتبة ... واستنتجت أن الرجل قد اكتشف أنه نسي الورقة وعاد لأخذها فقد كان مسرعًا ... ووضعت «نوسة» الورقة في جيبها ثم اندفعت خارجة من الباب الذي يُؤدِّي إلى ساحة القصر ... وأغلقت الباب خلفها ...

نظرت «نوسة» حولها وشاهدت «زنهار» يقف عند السور الصخري المحيط بالقصر ... ورآها فتظاهرت بأنها لا تراه، وسارت في هدوء ناحية السور في الاتجاه المضاد لمكان «زنهار» كان عقلها يدور بسرعة ... ونفَسُها ميدانًا لمختلف المشاعر ... لقد قادتْها الصدفة إلى معرفة بعض تحرُّكات الرجال الثلاثة «زنهار» و«كراون» و«مايلز»، ومن المؤكد أن الورقة التي حصلت عليها لها أهمية كبيرة.

سارت حتى وصلت السور الصخري، ثم انحرفت يسارًا واتجهت إلى غابة النخيل التي تمتد في ناحيتَي السور ... وغاصت في ظلال النخيل حتى أحسَّت أنها بعيدة عن كل رقابة ووقفت تحت نخلة، وأخرجت الورقة من جيبها وعرضتها لضوء الشمس الذي كان يتسلَّل من بين سعف النخيل ... ووجدتها ورقة قديمة صفراء ... قد اهترأت من كثرة الاستعمال، ووجدت على أحد وجهَيها رسمًا دقيقًا للمكتبة بلا كتب، الرفوف والزوايا الحجرية التي أصبحت مُغطَّاة بالخشب ... والمكتب ... وعلى مكان الدرج العلوي من المكتب كانت هناك بضع كلمات باللغة الإنجليزية، قرأتها فوجدت أنها تُشبه شفرة لفتح الدرج من أسفل كما فعَل الرجل ...

قلبت «نوسة» الورقة ... وعلى الوجه الآخر وجدَت مجموعة من الأرقام أخذت تمعن النظر فيها ... كانت الأرقام مكونة من مجموعات ... المجموعة الأولى أكبر من بقية المجموعات برقمين ... وأخذت تتأملها ...

٣	١٥	٢١	٣	٦
		٣٥	٦	٣
		٣١	٨	٤
		٤٠	١٢	٩
		٤٨	١٢	٢
		٧٢	٨	٤
		٨٨	١٢	١
		١٠٠٠	١٨	٨

وقفت «نوسة» مبهورة أمام الأرقام ... ماذا تعني؟ هل هناك علاقة بين رقم «٦» ورقم «٣» المتكرر في الصفين الأولين؟ لماذا كانت المجموعة الأولى تزيد رقمين عن بقية المجموعات؟ لماذا يتردَّد رقم «٨» أكثر من أيِّ رقم آخر، هل جمعُ الأرقام يُمكن أن يؤدي إلى شيء؟ إن مجموع أرقام الصف الأول «٤٥»، ومجموع أرقام الصف الثاني «٤٤»، ومجموع أرقام الصف الثالث «٤٣» ... فهل تَتناقص بقية الأرقام دائمًا؟ ... ولكن الأرقام لا تسير على نفس القاعدة ... فمجموع أرقام الصف الرابع «٦١» ...

كانت «نوسة» مُستغرقة في فحص هذه الأرقام، ولكن حاسَّتها السادسة نبهتها أن ثمة من يقترب، فأسرعت تضع الورقة في جيبها وتُصغي ... وتأكَّدت أن ثمة شخصًا يسير

في غابة النخيل ... ودارت بسرعة ... واختفت خلف النخلة وأخذت تختلس النظر، وصوت الأقدام رغم الأرض الرملية يبدو واضحًا في الصمت السائد، حتى رأت «زنهار» يسير وهو يمدُّ رأسه إلى الأمام كأنه ثعلب يتشمم طريق فريسته ... وأدركت أن «زنهار» يبحث عنها ... وهو لا يُمكن أن يبحث عنها إلا لسبب واحد ... الورقة ... لا بد أن الرجل الإنجليزي عاد يَبحث عنها فلم يجدْها ... وأثار مُشكلة واتَّهم «زنهار» الذي استنتج عندما رآها تخرج من المكتبة أنها هي التي أخذتها ...

أخذت الأقدام تقترب منها في شكل دائرة ... وعرفت أنها إذا وقفت مكانها فسوف يصل إليها «زنهار» سريعًا، وهكذا تحركت من مكانها في هدوء وحذر ... وأخذت تُسرع الخطو مُبتعِدة، ثم تتوقف لحظة أخرى تُنصت ... كان من الصعب أن تتبين صوت الأقدام إلا من مكان قريب. وأدركت أن «زنهار» سيصل إليها سريعًا ... فهو أدرى بطرقات غابة النخيل ... وهكذا قررت أن تجري في اتجاه الشاطئ مرة أخرى لعلها تصل إلى حيث يصطاد الأصدقاء لتَعرض ما حدث عليهم ... وأخذت تجري ... ولكن كثافة النخيل واختفاء ضوء الشمس تدريجيًّا وراء سحاب أسود، واضطرابها أمام هذه المطاردة جعلها تفقد الاتجاه الصحيح ... وأخذت تغوص تدريجيًّا في غابة النخيل الواسعة ...

كانت الورقة في يدها، وذهنُها يعمل بسرعة ... ووجدت أن الحل الأفضل أن تُخفي الورقة في أي مكان ثم تُواجه «زنهار» دون خوف ... وأخذت تنظر حولها في مُحاولة للبحث عن مكانٍ مُناسب، ووجدت نخلة صغيرة قد مدَّت أفرعها التي ما زالت صفراء كالشَّعر المنكوش وأسرعت إليها، ودست الورقة بين الأفرع ... ثم وقفت قليلًا تتأمَّل المكان حتى ينطبع في ذاكرتها ... وعادت تسير في هدوء مبتعدة عن المكان، وسرعان ما وجدت نفسها أمام «زنهار».

فوقفت تنظر إليه، كان وجهه الخشن الملامح جامدًا ... وفي عينيه نظرة صياد يبحث عن فريسة ... وأصابها الذعر ماذا تفعل مع هذا الأخرس الأصم؟ كيف تتفاهم معه؟ ومرت لحظات استجمعت فيها شجاعتها ... وتذكَّرت المهمة التي جاءوا من أجلها ... وهكذا رفعت يديها وأخذت تُشير له مُحاولةً إفهامه أنها ضلَّت الطريق ... وأنها تبحث عن طريق العودة.

ظل وجه «زنهار» جامدًا ... وهو ينظر إليها ... وبدا واضحًا أنه فهمها ... ولكن بدلًا من أن يقودها إلى الطريق، أو يشير إليها ... مدَّ يدَه إليها بطريقة فهمتْها على الفور ... كان واضحًا أنه يطلب منها الورقة ... وتظاهَرت أنها لا تفهم، وأعادت إشارتها إليه ... ولكنَّه ظلَّ مادًّا يده ... ومرَّت لحظاتُ صمتٍ ثم تقدم «زنهار» منها وعلى وجهِه علامات التصميم،

وبدا واضِحًا أنه يُمكن أن يفعل أي شيء للحصول على الورقة ... ولم تدرِ «نوسة» ماذا تفعل سوى أن تُطلق ساقيها للريح ...

أخذت تجري دون أن تدري إلى أين ... كان كلُّ ما يُهمها أن تجري وألا تقع في يد هذا الأصم الأبكم الذي لا يُمكن التفاهم معه ... وظلَّت تَجري فترة دون توقُّف ودون أن تَلتفِت حولها حتى أحسَّت أن قدميها تضعفان تدريجيًّا ... وأنفاسها تتسارع، وشعرت أن صدرها سينفجر ... ولم يعد أمامها إلا أن تتوقف ... فتوقفت واحتضنت جذع نخلة تَحتمي بها من الوقوع والتفتت خلفها ورأت «زنهار» يقترب منها مادًّا يده ... وأحست أن وعيها يغيب تدريجيًّا، ولكن في هذه اللحظة حدث ما لم تتوقعه أبدًا ... سمعت نباح «زنجر» قادمًا من بعيد ... وخلفه بعض الأصوات البعيدة ... وفجأة عندما اقترب «زنهار» منها تمامًا ظهر «زنجر» ... وبقفزة واحدة انقض على «زنهار» وعضَّه عضَّةً أطلقت صيحة غضب من «زنهار»، ولكن «زنجر» مضى يُهاجمه وهو ينبح بشدة وضراوة ... وسقطت «نوسة» على الأرض على الأرض ... وفي نفس اللحظة ظهر المُغامرون ومعهم «عماد»، وشاهدوا ما يحدث ...

صاح «تختخ»: «زنجر»!

وتوقف الكلب لحظة، ثم كاد يَهجم مرةً أخرى عندما قفز «تختخ» إليه يمنعه ... وفي نفس الوقت أسرع بقية الأصدقاء إلى «نوسة» التي ابتسمت لهم، وقال «محب» وهو ينحني عليها: «نوسة» ماذا حدث؟

أشارت إلى «زنهار» دون أن تَقوى على الكلام، فقال «عماد»: هل حاول أن يؤذيك؟ ...

هزَّت «نوسة» رأسها علامة الإيجاب، فالتفت «عماد» إلى «زنهار» غاضبًا، وأخذا يتبادلان إشارات سريعة فهم منها المغامرون أن «عماد» يُؤنِّبه ... وأن «زنهار» يشرح له شيئًا ... ثم أمسك «زنهار» ... بذراع «عماد» وأخذه جانبًا ... وأخذ يشرح له بالإشارات ... و«عماد» يشير له فاهمًا ... ثم أمسك «عماد» بيد «زنهار» وأخذه إلى ناحية الأصدقاء وأشار لهم بيده ... ثم وضعها على قلبه ... كان يعني أنهم أصدقاؤه ... وأحنى «زنهار» رأسَه، وبدت عليه علامات الندم والأسف.

موسيقى وساندوتشات

انصرف «زنهار» عائدًا وحده وقد أحنى رأسه ... بينما التفَّ المغامرون و«عماد» حول «نوسة» التي كانت جالسة على الرمال مستندة إلى جذع النخلة وقد احتضنت «زنجر» في إعزاز ... وقالت «نوسة»: لقد وصل «زنجر» في الوقت المناسب جدًّا ... ولكن كيف حدث هذا؟ كيف حضرتم؟ ألم تذهبوا لرحلة الصيد؟

قال «تختخ»: لا لم نَخرج للرحلة ... فلقد ذهبنا ووجدنا أن الصياد الذي سيخرج معنا لم يحضر لأنه مريض ... فقضينا بعض الوقت نُحاول الصيد على الشاطئ، ولكن الأمواج العالية، جعلت محاولتنا غير مجدية ... وهكذا عُدنا إلى المزرعة نبحث عنكِ ... وقالت لنا الشغالة «سعدية» إنها رأتك من النافذة تخرجين من حجرة المكتبة وتتَّجهين إلى غابة النخيل ... فجئنا خلفك، وقد بحثنا عنك طويلًا دون جدوى ... ثم فجأة نبح «زنجر» وجرى، فجرينا خلفه ووصلنا وشاهدنا هذا الموقف العجيب بينك وبين «زنهار» فماذا حدث؟

وتنهدت «نوسة» ثم قالت وهي تهزُّ رأسها: لقد كدتُ أموت رعبًا وتعبًا ... لقد طاردني «زنهار» خلال الغابة كلها من أجل الورقة!

بدأ الاهتمام على وجوه المغامرين، وقالت «لوزة» بانفعال: ورقة؟ أي ورقة؟ هل وجدتِ خريطةً للمنزل؟

ابتسمت «نوسة» وداعبت «لوزة» قائلة: لعلَّكِ تتصوَّرين أنني عثرت على خريطة الكنز كما يحدث في روايات القراصنة ... ولكن ما حدث بالضبط أنني عثرتُ على ورقة بها طريقة فتح المكتب الموجود في غرفة المكتبة ... وبعض الأرقام غير المفهومة!

قال «عاطف» مُتسائلًا: وهل طاردك «زنهار» من أجل هذه الورقة؟

نوسة: نعم ... ولكن بدلًا من هذه الأسئلة دعوني أحكي لكم كل ما حدث بعد خروجكم للصيد وبقائي في غرفة المكتبة.

وأخذت «نوسة» كعادة المغامرين تَسرد الأحداث والحقائق التي جرت منذ دخولها المكتبة حتى وصول الأصدقاء إليها ... وعندما انتهت من حديثها ساد صمتٌ طويل ... فقد بدا واضحًا للمغامرين أنهم أمسكوا طرف الخيط الذي ربما يُؤدي إلى كشف حقائق اختفاء تُحَف مزرعة الرياح ... وأسباب وجود «كراون» و«مايلز».

وقال «تختخ» يسأل «عماد»: ما مدى إخلاص «زنهار» لك؟

رد «عماد»: إنه مُخلِص لي جدًّا، لقد كان حارس أبي الخاص ... وقد طاف معه العالم، وعندما اختفى أبي اختار «زنهار» أن يعيش في مزرعة الرياح، وهو دائمًا يقول — طبعًا بالإشارة — إنه واثق أن أبي سيعود يومًا!

محب: إذن نستطيع أن نستعين به ضدَّ هذَين الرجلين؟

عماد: بالتأكيد ... وأعتقد أنه لا يُحبهما!

قال «تختخ» موجهًا حديثه إلى «نوسة»: وهل تعرفين المكان الذي أخفيتِ فيه الورقة؟

نوسة: الحقيقة أنني الآن لا أدري ... إنَّ غابة النخيل متشابهة جدًّا، ولا أدري إذا كنتُ سأستطيع معرفة المكان الذي أخفيت فيه الورقة أم لا!

تختخ: إن هذه الورقة على أكبر جانب من الأهمية ... وأظن أننا سنتعرَّض لمتاعب من ناحية «كراون» و«مايلز» بسببها!

ولم يكن استنتاج «تختخ» إلا تقريرًا للواقع ... فقد ظهر في هذه اللحظة «كراون» و«مايلز» من خلف النخيل ... وبدا من الواضح أنهما كان يتبعان «زنهار» وهو يطارد «نوسة» في غابة النخيل.

كان الرجلان يتقدمان في سرعة، ووقف الأصدقاء، ووقفت «نوسة» أيضًا استعدادًا لما يمكن أن يفعله الرجلان ... وعندما وصلا توجَّه الطويل منهما إلى «عماد» بالحديث قائلًا: إنني أطالب بتسليم الورقة فورًا.

تظاهَر «عماد» بأنه لا يَعرف شيئًا وقال: أي ورقة؟

قال «كراون» بضيق: الورقة التي نسيتُها في غرفة المكتب هذا الصباح؟

عماد: ولكنَّنا لم نكن في القصر هذا الصباح، ولا نعرف شيئًا عن هذه الورقة!

كراون: لقد أنكر «زنهار» أنه أخذ الورقة، فمَن أخذها إذن؟

رد «عماد»: ولماذا تسألني؟

كراون: لأن الورقة لم تَخطفها العفاريت ... إنني لم أغِب عن المكتبة أكثر من بضع دقائق، وعندما عدتُ لم أجدْها، وكان «زنهار» قريبًا من المكتبة وقد شاهدناه يتَّجه إلى غابة النخيل فسِرْنا خلفه ... ولم ندرِ ماذا كان يفعل حتى سمعنا صوت نباح الكلب ... وشاهدناكم ... ولا بد أنه سلَّم الورقة لك!

أدرك «عماد» أن «كراون» لا يعرف مَن الذي أخذ الورقة، وأنه يشك في «زنهار» فقال بصدق: إن «زنهار» لم يُسلِّمنا أي ورقة!

صاح «كراون» بوحشية: سأَعرِف كيف أستعيد هذه الورقة!

فرد «عماد» بضيق: اسمع يا مستر «كراون» ... إنك ضيفي، ونحن العرب مشهورون بكرم الضيافة ... ولكن لا تتجاوز حدودك!

بدا التردُّد على «كراون» فجأة، وعاد يخفض صوته قائلًا: لا تنسَ أنني شريك أبيك!

قال «عماد»: إن هذا لا يُلزمني بشيء ... وأمامك المحاكم تُطالب بحقِّك فيها ... أما بالنسبة لي فلستُ أعرف شيئًا عن نشاط أبي ... وماذا كنتما تشتركان فيه!

لم ينطق «كراون» بكلمة، ولكنه استدار ومضى وخلفه «مايلز»، وسارا حتى اختفيا عن أنظار الأصدقاء خلف النخيل.

قال «تختخ» لـ «عماد»: لقد كنتَ رائعًا في حديثك معه ... ومن الواضح أنه سيستميت في استعادة الورقة، ويجب أن نكون على حذر!

عماد: لقد أبقيتُه في القصر على أمل أن يحلَّ لغز اختفاء التحف من القصر ... فإذا استطعنا نحن أن نحلَّ اللغز ... فلن أتردد في طرده!

تختخ: سنرى ماذا تحمل هذه الورقة!

عاطف: المهم العثور عليها ... فـ «نوسة» كما قالت لا تذكر مكانها!

نوسة: أعتقد أنني سأتذكر ... فقد احتاج لبعض الراحة فأنا متعبة!

تختخ: فلنعد إلى القصر ... فليس من المستبعد أن يكون «كراون» و«مايلز» أو أحدهما قريبًا منَّا ... إننا سنكون موضع مراقبتهم دائمًا.

ومشى الأصدقاء في اتجاه القصر ... وكانت «نوسة» تلتف حولها لعلها تتذكر المكان ... إنها تتذكر النخلة الصغيرة جيدًا ... ولكن في أيِّ مكان من الغابة الواسعة؟ لا تعرف!

وصل الأصدقاء إلى القصر قرب موعد الغداء ... وصعدت «نوسة» إلى غرفتها فاغتسلت واستبدلت ثيابها ثم نزلت ... كانت الأرقام التي في الورقة تشغل بالها ... ماذا تعني هذه الأرقام؟ لو كانت الورقة معها الآن لعرضتْها على المغامرين ... وربما استطاع أحدهم أن

يفكَّ رموزها ... ودخل «زنهار» وتلاقت نظراتهما ... ورأت في عينيه نظرة اعتذار فابتسمت، وأدركت أنه رجل مُخلِص لأصحاب القصر الذي يعمل عندهم وأنه لم يطاردها إلا من أجل مصلحتهم.

تناول الأصدقاء الغداء ... وكانت الشمس قد غابت وراء ركام من السحب السوداء، وبدأت الريح تهب ... فاقترحت «نوسة» أن يقضوا الأمسية في المكتبة ... ووافَق المُغامِرون على الاقتراح.

عندما دخلوا المكتبة كان «كراون» يقف في وسطها وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه، ووقف مُستغرقًا في تفكير عميق ... وأدركت «نوسة» أن «كراون» مثلها تمامًا، يعتقد أن حلَّ اللغز يكمن في المكتبة ... وقد سبقها إلى سرِّ المكتب وكيف يَفتح الباب السري فيه، وحصل على الورقة ... ولكنه لم يستطع حل مشكلة الأرقام.

تنبَّه «كراون» إلى دخول الأصدقاء ... فنظر إليهم كأنه لا يراهم ... ثم غادر المكان دون أن ينطق بكلمة واحدة.

جلس الأصدقاء و«عماد» يتحدَّثون ... وجاءت عمة «عماد» فانضمَّت إليهم، ولم يذكر المغامرون شيئًا عن الورقة، فقالت العمة: إن شقيقي «حلمي» كان يقضي أغلب وقته في هذا المكان ... كان يحب المكتبة حبًّا عميقًا ... وهو الذي قام بالإشراف على بنائها وتأثيثها ... وكثيرًا ما كان يدخل هنا، ويُغلِق الأبواب ويمنع دخول أي شخص إليه!

قال «محب» متسائلًا: حتى «زنهار»؟!

ردت «العمة»: نعم ... حتى «زنهار» ... وقد لاحظت أنه عندما كان يدخل هنا ثم يخرج، أن ثمة تغييرات تحدث في المكتبة!

كانت «نوسة» تستمع إلى هذا الحديث باهتمام شديد ... وقد تأكَّد عندها أن استنتاجها صحيح، وأن لغز اختفاء تحف مزرعة الرياح يكمن في هذا المكان ...

قالت «نوسة»: واسم مزرعة الرياح، أليس عندك فكرة عنه؟

قالت السيدة وهي تزوي ما بين حاجبيها: لقد قطعت تعليمي في فترة مبكرة من عمري ... لهذا فإنني لا أتذكر اللغات الأجنبية جيدًا ... ولكن يبدو لي أنه كان أحيانًا «يُدندن» بأغنية فيها هذا الاسم ... مزرعة الرياح بالإنجليزية ...

أسرع «عماد» يقول: هل كان يقول: Wind Branch؟

صاحت السيدة وهي ترفع يدها: نعم تمامًا ... ويند برانش!

نوسة: إن الاسم يبدو كأنه مقطع من قصيدة ما!

العمة: نعم ... شعر ... أغنية ... شيء من هذا القبيل، كان يُغنِّيه مع صفارة طويلة يطلقها من بين شفتيه!

قالت «لوزة»: لعلها أسطوانة، أو شريط «كاسيت»، أليسَت عندكم مكتبة موسيقية؟

ردَّ «عماد»: نعم ... وهناك عدد كبير من الأشرطة تركه أبي!

لوزة: متحمِّسة: لماذا لا نسمعها؟ ... قد نعثر بين كلماتها على شيء يُفسِّر معنى مزرعة الرياح!

قال «عاطف»: وإذا عرفنا معنى مزرعة الرياح ... هل سيحلُّ هذا لغز اختفاء التحف؟

تختخ: ليس مهمًّا إن كان يحلُّ أو لا يحلُّ، دعونا نسمع الشرائط ... فنحن في حاجة إلى بعض المرح ... وفي نفس الوقت كثيرًا ما تحلُّ كلمة واحدة أعقد الألغاز!

أشار «عماد» إلى ركن به مجموعة من أجهزة التسجيل موضوعة داخل أرفف المكتبة وقال: هذه هي المكتبة الموسيقية!

فجأة سألت «نوسة»: هل هناك أيُّ إحصاء لعدد الكتب في المكتبة؟

قال «عماد»: لا أظن يا «نوسة» ... أنا شخصيًّا لا أعرف.

وأدار «عماد» أحد الأجهزة ... وارتفعت موسيقى جميلة ملأت جو المكتبة الواسعة، وتسلل «زنجر» إلى جوار الميكروفون يَستمع ... ثم تسلَّل «زنهار» من الباب أيضًا ...

وانتهت القطعة الأولى ... والثانية ... والثالثة ... واقتربت الساعة من الثامنة فقالت العمة: لقد جاء موعد العشاء، هيا بنا!

نظرت «لوزة» إليها وقالت مبتسمة: هل يمكن أن يكون العشاء الليلة بعض الساندوتشات فقط ... إنني أحس أننا سنجد في هذه التسجيلات شيئًا؟!

قالت «العمة» وهي تقف وتشير لـ «زنهار»: كما تُحبُّون، ستأتيكم الساندوتشات بعد قليل!

انصرفت «العمة» ... ومضت بضع دقائق ... وفجأةً ارتفعت موسيقى ناعمة أخذت ترتفع شيئًا فشيئًا حتى أصبحت كالعاصفة ... وفي وسط العاصفة الموسيقية ارتفع صوتُ مُطرِب يغني «مزرعة الرياح» ...

في غابة النخيل

كانت الموسيقى تتدفَّق في الحجرة، ومعها كلمات رقيقة تقول:

عندما أطوف العالم …
عندما أرى كل شيء …
أعود إليك …
حيث تولد الرياح …
أعود إليك …
لأنك وطني!
يا أرض الرياح!
يا مزرعتي …

بدا المغامرون … و«عماد» وحتى «زنجر» كأنهم تحت تأثير سحر رقيق … وأحست «نوسة» كأنما ترى فارسًا يخوض المياه … ويعبر الصحارى ويصعد الجبال … ويُحارب وينتصر … ثم يعود إلى هذه الأرض المحبوبة … حيث مكانه … حيث مزرعة الرياح …

وانتهت الكلمات وظلَّت الموسيقى ترنُّ في أنحاء الغرفة الواسعة معبِّرة عن ريح هادئة وصوت أمواج … ثم تلاشَى كلُّ شيء وساد الصمت.

قال «محب»: يا لها من أغنية رائعة!

والتفت «عاطف» إلى «عماد» وقال: لقد كان والدك رجلًا حساسًا رقيقًا … ولقد فهمنا الآن لماذا سمَّى هذا المكان مزرعة الرياح … لقد كان رجلًا رحالة … ولكنه كان يُحبُّ مصر … ويحب هذا المكان منها … فسماه مزرعة الرياح!

قالت «نوسة»: هل مكتبة والدك الموسيقية منظَّمة مثل الكتب؟

قال «عماد»: نعم ... كل شريط فيها له رقم!

نوسة: وما هو رقم هذا الشريط؟

رد «عماد»: إنه رقم «١٥» في الأغنيات الخفيفة.

وتذكرت «نوسة» فورًا وقفزت من مكانها، تذكرت أن أحد الأرقام في الورقة هو الرقم «١٥»، وربما كان أول رقم ... فهل يدلُّ هذا على شيء؟

قال «تختخ»: ماذا حدث يا «نوسة» هل تذكرت شيئًا؟

نوسة: نعم ... إن رقم الشريط موجود في الورقة، رقم «١٥» أحد أرقام الورقة التي تركتها في غابة النخيل ... ولعله الرقم الأول ... هل يعني هذا بالنسبة لكم شيئًا؟

تختخ: بالتأكيد ... إذا كان رقم الشريط مُسجَّلًا على الورقة، فليس هناك سوى احتمالين ... الأول أن تكون الورقة كلها خاصة بأرقام أشرطة في المكتبة الموسيقية ... أو أن الأرقام ترمز إلى أشياء في هذه المكتبة!

نوسة: ألا تعني شيئًا بالنسبة للكتب ذاتها؟

تختخ: ربما!

ساد الصمت بعد هذا الحوار ... كانت أذهان المغامرين جميعًا تدور حول الورقة التي في الغابة ... إنَّ إعادتها أصبحت مسألة حيوية جدًّا ... ولكن كيف؟ قام «تختخ» من مكانه وذهب إلى نافذة المكتبة ونظر إلى الخارج عبر الزجاج، كان الليل داكن السواد والريح تهبُّ بشدة ... وكان من الواضح أن أية محاولة للخروج في هذه اللحظة غير مُجدٍ على الإطلاق، إن لم يكن خطرًا ... فعاد إلى مكانه، وغرق كل منهم في خواطره فترة، ثم قال «تختخ» وهو ينظر إلى ساعته: لقد آن الأوان لننام ... وموعدنا الثامنة صباحًا للِّقاء والذهاب إلى غابة النخيل.

وقاموا جميعًا، وذهبوا إلى غرف نومهم ... وسرعان ما اندسُّوا تحت الأغطية اتقاء للبرد ... ولكن «نوسة» أخذت تتقلَّب في فراشها ... كانت تفكر في الورقة ... وفي الأرقام وفي اللغز ... لقد وضعت يدها على أول الخيط، وقد يَضيع منها، وتضيع بذلك فرصة قد لا تسنح مرة أخرى ... وجلست في الفراش ... وكان الظلام سائدًا كالعادة إلا من بعض لمبات الجاز التي وضعت في دهاليز القصر ... وسمعت «نوسة» صوت تنفُّس «محب» المنتظم ... وعرفت أنه غارق في النوم ... جلست تفكر ... كان رقم «١٥» يدور في حلقات في ذهنها ... هذا الرقم ماذا يعني؟ ... إنها تتذكر جيدًا أنه أحد أرقام الورقة ... إنه يدلُّ على شيء ما ... فماذا يعني؟

إنها الآن تتذكَّر شيئًا آخر ... لقد كان الرقم الأول بالتأكيد ... فكيف تستفيد من هذه المعلومة الآن؟ ... نعم الآن ... إنها لا تُطيق صبرًا ... وقامت من فراشها وارتدت الروب ... ثم خرجت إلى الدهليز ... كان الصمت يلف القصر إلا من زفيف الريح وساعة كبيرة دقاقة في الصالة ... وحملت إحدى اللمبات ونزلت على السلَّم الحجري بهدوء ومضت إلى المكتبة ... ستبحث عن كل شيء فيها فيه رقم «١٥» وفتحت الباب ودخلت، وتوقفت تنظر إلى صفوف الكتب في الضوء الخفيف المنبعث من اللمبة ... إنَّ قلبها يحدثها أن لغز قصر الرياح في هذه الكتب ... فيها ... أو خلفها أو تحتها ... أو فوقها ... وهناك علاقة بين الأرقام وبين هذه الكتب ... وأخذت تَمضي مع صفوف الكتب الإنجليزية تعدها وعند كل كتاب رقم «١٥» كانت تمد يدها وتُخرجه وتنظر إلى غلافه، الكتاب الأول الذي عثرت عليه كان قصة «موبي ديك» لمؤلفها الأمريكي «هيرمان ميلفيل» رواية عن صيد الحيتان تَذكُر أنها رأته في السينما، وأخذت تُقلب صفحات الكتاب، علها تجد فيه ورقة أخرى، ورقة تُفسر اللغز، ولكن الكتاب كان خاليًا، ومضت إلى الرف الثاني ومضت حتى الكتاب رقم «١٥» وأخرجته، كان رواية «الجريمة والعقاب» لمؤلفها الروسي «ديستويفسكي» وأخذت تُقلب صفحات الكتاب ... ولكنها لم تجد شيئًا، ومضت إلى الرف الثالث، ووصلت إلى الكتاب رقم «١٥» ومدت يدها لتخرجه ... كان كتابًا قديمًا قد قرئ كثيرًا ... فغلافه رغم أنه أنيق وفاخر ... إلا أنه مُستعمَل بكثرة ... ولم تكد تُلقي نظرة عليه حتى اهتزَّت كلها وخفَق ... قلبها خفقانًا شديدًا ... كان على غلاف الكتاب رسم يمثل القصر تمامًا ... ومزرعة الرياح ... كأنه صورة ... وكان مكتوبًا عليه «مزرعة الرياح» ... ارتعدت يدها وهي تفتح الكتاب، ولكنها في هذه اللحظة سمعت شيئًا ... ليس زفيف الرياح ولا صوت الساعة ... كان صوت أقدام تقترب، ثم بابًا يُفتح ... وأسرعت فأعادت الكتاب مكانه ... ثم التفت إلى الباب ورأت «كراون» يقف في الضوء الخفيف ينظر إليها ... وتمالكت أعصابها بسرعة ... ومضَت تَنظر في صفوف الكتب، وتَنتقِل من مكان إلى آخر ... متظاهرة بأنها لا تهتم بوجوده ... كانت تَخشى شيئًا واحدًا ... أن يكون قد رآها وهي تمسك الكتاب بين يديها ... لو أنه عرف الكتاب وقرأ عنوانه فسوف يتوصَّل إلى حلِّ اللغز ... فلو أن كتابًا هو الذي يحلُّ لغز مزرعة الرياح لكان كتاب مزرعة الرياح.

وتقدم «كراون» حتى توسط الغرفة ثم قال: ماذا تفعلين هنا؟

نظرت إليه بثبات وقالت: إنني أبحث عن كتاب أقرؤه!

كراون: دعك من هذه الأعذار غير الصحيحة، إنكِ تَبحثين كما يبحث زملاؤك عن سر اختفاء التحف، وأنا الآن مُقتنِع أنك أنت وليس «زنهار» التي أخذت الورقة التي كانت معي، وأنك أخفيتها في مكانٍ ما من غابة النخيل، وسوف تَأتين معي الآن لإحضارها!

نوسة: إنك لا تستطيع أن تُثبت ما تقول!

كراون: لقد فحصنا آثار قدمَيك وعرفنا كل شيء ... وأنت الآن كنت تبحثين في المكتبة عن شيء دار بخاطرك حول سرِّ التحف المختفية ... وستبوحين لنا بكل شيء ... وتقدم منها «كراون» وعيناه تقدحان شررًا ... وحاولت «نوسة» أن تصرخ ولكن صوتها ضاع ... لم تستطع أن تفعل شيئًا، وظهر «مايلز» في هذه اللحظة، وانقضَّ «كراون» عليها، فأغلق فمها بيده، ثم حملها ببساطة رغم ضعفه الظاهر، وخرج من المكتبة.

أسرعا بها إلى غابة النخيل، وبعد فترة وضعها «كروان» على الأرض، وأمرها أن تسير، وكان القمر قد ظهر من خلف السُّحب، وأخذ يضيء الغابة الساكنة لحظات ثم يَختفي، وأخرج كلٌّ منهما كشافًا ضخمًا، وأضاءا الطريق ... كانا يَتبعان خطواتها الواضحة على الرمال ... وسرعان ما توغلوا في أحشاء الغابة، وكانت «نوسة» تضمُّ «الروب» حول جسمها محاولة اتقاء البرد، وهي تفكر فيما حدث، لقد ضاع كلُّ شيء في ثوانٍ قليلة، وكان خطأً منها أن تنزل إلى المكتبة وحدها ... كان يجب أن تعرف أن «كراون» و«مايلز» لن يَخسرا المعركة بهذه البساطة.

كان تتبُّع الآثار في الظلام شاقًّا ... ولكن «كراون» و«مايلز» كانا مُصمِّمَين، وهكذا مضوا رغم الظلام ... وكلما مروا بمكان هزت «نوسة» رأسها ... فلم يكن المكان الذي أخفت فيه الورقة ... وطال الوقت ... وفجأة قال «كراون»: اسمعي ... لا تُحاولي خداعنا ... إذا لم تعثري على الورقة الليلة، فإن أصدقاءك كلَّهم سيتعرَّضون لخطر شديد ...

قالت: «نوسة»: إنك لن تُهددني ...

كروان: أؤكد لك أن بقية زملائك معرضون لخطر شديد ... إنَّ لنا أصدقاء في هذه الأنحاء، وقد أخطرناهم بكل شيء ... وإذا لم تُسلمي الورقة لنا الآن ... فسوف يَخطفون البنت الصغيرة ... فمعهم مفاتيح القصر ... ولن تعثروا لها على أثر.

أدركت «نوسة» أن «كراون» قد أحكَمَ خُطته ... وأنَّ الحل الوحيد هو تسليم الورقة، وهكذا مضت بسرعة تفحص الأرض معهما ... لقد هزَّها ما هدَّدها به «كراون» ... فليس مُهمًّا أن يحلوا اللغز أو لا يحلوه، المهم الآن مصير «لوزة»، وما قد يَحدُث لها ... وفجأة رأت النخلة التي وضعت بين سعفها الصغير الورقة، وتوقَّفت ... كان القرار في هذه اللحظة

يَعني نهاية المغامرة أو تعريض «لوزة» للخطر، فلم تتردَّد، فتقدَّمت من النخلة، ومدَّت يدها بين السعف الصغير وأخرجت الورقة.

في هذه اللحظة حدث شيء لم يكن في الحسبان ... فقد ظهر من بين النخيل شبح جرى بسرعة ناحية «نوسة» وعلى الضوء البعيد القادم من القمر عرفتْه ... كان «زنهار» الذي انقضَّ عليها، واختطف الورقة، وأسرع يَجري، ولحق به «كراون»، ولكن بضربة قوية من يده ترنح «كراون» وسقط على الأرض، وسمعت «نوسة» في هذه اللحظة طلقة مسدَّس انطلق من يد «مايلز» ولم تَنتظِر «نوسة» أكثر من هذا ... انطلقت تجري بكل قوتها، وقد جعلت اتجاهها ناحية صوت أمواج البحر، أخذت تجري وتجري دون توقف غير ملتفتة إلى شيء، حتى لاح لها شبح القصر من بعيد ... وكانت أنفاسها مُتسارعة وقلبها يكاد يقفز بين ضلوعها، ولكنها لم تتوقف، وظلت تجري وتجري حتى سقطت على باب القصر ...

ظلَّت مُستلقية فترة من الوقت والصمت سائد حولَها ... ثم سمعت صوت أقدام على بلاط القصر تَقترب من الباب فنادت: «محب» ... «محب»!

وكان «محب» فعلًا ... لقد استيقظ فلم يجدها، ونزل يبحث عنها ... وفتح «محب» الباب وشاهدها فصاح: «نوسة»!

وانحنى عليها فقالت له: إنني بخير ... ولكن الأمور تطوَّرت بسرعة ... أيقظ «تختخ»!

ساعدها «محب» على الوقوف، وصعد معها السلالم ثم أدخلها إلى فراشها، وغطاها وقال: ماذا حدث؟

نوسة: إنها حكاية طويلة ... أيقظ «تختخ»!

وخرج «محب» مُسرعًا وبعد لحظات قليلة شاهدت «تختخ» يدخل وقد بدت عليه آثار النوم، فقالت «تختخ» لقد عثرت على الورقة ... ولكن ...

قال «تختخ»: ولكن ماذا؟

ردت «نوسة» بإعياء شديد: أخذها «زنهار»!

لعبة الأرقام

كانت الساعة الواحدة صباحًا وقد عُقد اجتماع للمغامرين الخمسة حضره «عماد» وشرحت «نوسة» للأصدقاء ما جرى خلال الساعات الماضية ... فقال «تختخ»: يجب أن نتصل فورًا بالشرطة ... لقد دخلت القضية في إطلاق الرصاص، وهذا يعني أنها خرجت من أيدينا.

قال «عماد»: للأسف ... إن كابينة التليفونات في «بلطيم» تغلق أبوابها حوالي العاشرة مساءً، ولن نستطيع الاتصال بمخلوق قبل الصباح ... والخروج من القصر الآن ... محفوف بالمخاطر!

محب: وهل تعتقد أن «زنهار» سيعود؟

عماد: أؤكد لك أنه إذا كان ما يزال حيًّا، وقادرًا على الحركة، فسوف يحضر!

ولم يكد «عماد» يَنتهي من جملته حتى سمعوا صوت أقدام في الدهليز، وظهر «زنهار» كان يُمسك كتفه بيده، لقد كان مُصابًا ... وباليد الأخرى أخرج الورقة من جيبه وأعطاها لـ «عماد» ... وأحسَّ الأصدقاء جميعًا بمدى إخلاص «زنهار» لـ «عماد» وأسرته، وتبادل «عماد» و«زنهار» الإشارات، والتفَتَ «عماد» إلى المغامرين قائلًا: لقد طلبتُ منه أن يغلق جميع الأبواب والنوافذ جيدًا ويَمنع دخول أي شخص!

قالت «لوزة» مُرتاعة: ولكنه مصاب!

عماد: يبدو أن إصابته ليسَت خَطِرة ... فهو يتحرك ويتصرف بشكل عادي جدًّا!

كانت «نوسة» تحت الأغطية عندما ظهر «زنهار»، ولكنها لم تكَد ترى الورقة حتى قفزت من فراشها واختطفت الورقة اختطافًا، ثم قالت: أريد أن أنقل مجموعة الأرقام فورًا، فإذا فُرض أن ضاعت منَّا الورقة مرةً أخرى، ففي إمكاننا حل اللغز ... وعلى الفور أخرجت ورقة وقلمًا ونقلت مجموعة الأرقام كما هي مكتوبة في الورقة القديمة، ثم سلمت الورقة لـ «عماد» قائلة: إنها من حقك!

محب: والآن ماذا نفعل؟

تختخ: سنَحمي أنفسنا أولًا ... وفي إمكاننا أن نُقيم نوبات حراسة منَّا حتى لا يفاجئنا أحد!

نوسة: إنني أريد أن أنزل إلى المكتبة فورًا ... إن حلَّ اللغز موجود في كتاب مزرعة الرياح!

تختخ: وماذا ننتظر؟ ... هيا بنا!

ونزلوا جميعًا إلى المكتبة على ضوء لمبات الجاز ... ودخلوا المكتبة وأسرعت «لوزة» إلى الرف الثالث، وأخذت تعدُّ الكتب حتى وصلَت إلى رقم «١٥» وأخرجته، وعلى ضوء اللمبة شاهد الأصدقاء الرسم واسم مزرعة الرياح.

وأخذت «نوسة» تُقلِّب الكتاب بين يديها ورقة ورقة ... كانت تتوقع أن تجد ورقة أخرى تحلُّ لغز التحف المختفية، ولكن الكتاب كان فارغًا، لم يكن إلا مجموعة من القصائد الشعرية.

وبدت خيبة الأمل على وجه «نوسة»، وقال «تختخ»: لنُفكر قليلًا ... إن الرقم الأول في الورقة هو رقم «٣» فعلى أيِّ شيء يدل؟

ردت «نوسة»: كما رأيت، إنه يدلُّ على الرفِّ رقم «٣» في المكتبة!

تختخ: عظيم ... نَنتقل خطوة أخرى، الرقم الثاني هو رقم «١٥» فعلى أيِّ شيء يدلُّ؟ ...

ردَّدت «نوسة»: يدلُّ على رقم الكتاب في الرف!

تختخ: عظيم ... المسألة مُرتَّبة رقمًا بعد رقم ... فما هو الرقم الثالث؟

نوسة: إنه رقم ... «٢١»!

تختخ: على أي شيء يدل؟

سكتت «نوسة» ولم ترد، ولكن «لوزة» اندفعت تقول: لو سارت الأرقام كما هي مرتبة، فلا بد أنه رقم صفحة في الكتاب!

تختخ: افتَحي يا «نوسة» هذه الصفحة!

وأخذت «نوسة» تقلب الصفحات حتى وصلت إلى رقم الصفحة، وقالت: قصيدة شعر ... ولا شيء آخر!

تختخ: لا بأس ... الرقم الرابع ... على أيِّ شيء يدلُّ؟

عادت «لوزة» الذكية تقول: بهذا الترتيب يكون رقم سطر في الصفحة!

وأسرعت عينا «نوسة» على الصفحة حتى وصلت إلى السطر الثالث!

قال «تختخ»: إن الرقم الخامس بالتأكيد هو رقم كلمة، فما هي الكلمة رقم «٦» في السطر؟

مضت «نوسة» تقرأ ثم قالت: كلمة الزاوية!

تختخ: عظيم، إن مجموعة الأرقام دلالتها كالآتي: الرقم الأول هو رقم رفٍّ في المكتبة ... الثاني رقم كتاب ... الثالث رقم صفحة ... الرابع رقم سطر ... الخامس رقم كلمة، وكل ما علينا الآن هو المُضيُّ مع أرقام الصفحات والسطور ... والكلمات ... إنها رسالة بالشفرة في سطور الكتاب.

ومضت «نوسة» تُقلِّب الصفحات ... تصل إلى رقم الصفحة ... ثم رقم السطر ثم رقم الكلمة، وهكذا وصلوا إلى ثماني كلمات:

«الزاوية – الثالثة – اضغط – الحافة – أسفل – ادفع – الباب – السلم.»

وصاحت «نوسة»: لقد أصبحت المسألة واضحةً جدًّا ... نحن في المكتبة فأين هي الزاوية الثالثة؟

أشار «عماد» إليها، وقال: هذه هي حسب ترتيب الزوايا في المكتبة!

وأسرع الجميع إلى الزاوية، قالت «نوسة»: إن هناك حافة خشبية ... يجب أن نَضغط عليها كما تقول كلمات الرسالة ... وأسرع «تختخ» يضغط على الحافة ... وقضى مدة من الوقت قبل أن يَسمع الجميع صوتًا يُشبه دقَّة الساعة ... ونزلت الحافة إلى أسفل وبدا شيءٌ أشبه بباب من المعدن الرقيق ... قالت «نوسة»: والآن ادفع الباب!

ودفع «تختخ» الباب المعدني ... ووقف الجميع مبهورين ... خلف الباب بدا تجويف يتسع لمرور شخص ... ونظر الجميع إلى «عماد» الذي وقف مُتسارع الأنفاس لا يَدري ماذا يقول ... فقال «محب»: سأدخل أنا ...

وأخرج الكشاف من جيبه، ثم أضاءَه ومد خيط الضوء داخل التجويف، ثم دخل ... ووجد سلمًا نزل عليه ... كان سلمًا حلزونيًّا فدار به حتى وجد نفسه داخل دهليز طويل مبطَّن بالخشب ... وعلى الحوائط والرفوف الكثيرة المتناثرة داخل الدهليز ... شاهدَ ما لم يُشاهدْه في حياته من التحف والمجوهرات ... ووقف مبهور الأنفاس لا يدري ماذا يفعل.

في هذه اللحظة سمع المغامرون صوت أقدام كثيرة في الخارج ... ثم صوت طلقات نارٍ، ثمَّ وجدوا باب المكتبة يهتز بشدة ... وعرفوا أن «كراون» ورجاله قد تغلَّبوا على «زنهار»، وأنهم سيقتحمون المكتبة، وفي ثوانٍ قليلة اتَّخذ «تختخ» قراره أن ينزلوا فورًا خلف «محب» ثم يُغلقوا الباب خلفهم.

قالت «لوزة»: ولكن الباب يغلق من الخارج!

تختخ: لا بد أن هناك وسيلة لإغلاقه من الداخل!

وأسرعوا جميعًا ينزلون، وكان استنتاج «تختخ» صحيحًا ... فقد كانت هناك ذراع خشبية ضغط عليها إلى أسفل، فارتفَعَت الحافة المفتوحة، وأغلقت باب التجويف ...

نزلوا جميعًا على السلم الحلزوني ... فوجدوا «محب» واقفًا، وقد بدا عليه الذهول، الذي سرعان ما سيطر عليهم جميعًا.

وعلى ضوء الكشافات ... واللمبة أخذوا يفحصون التحف والمجوهرات والكتب الغريبة التي وجدوها ... ثم مضى «محب» يفحص الدهليز، وعندما وصل إلى نهايته صاح: هناك مدخَل آخر، في نهاية الدهليز، وأعتقدُ أنه يَفتح قرب البحر.

قال «تختخ» وهو ينظر إلى ساعته: سنبقى هنا طول الليل ... إن أيَّ محاولة للخُروج الآن معناها أن نُلقي بأنفسنا بين يدَي «كراون» وعصابته.

واختار كلٌّ منهم ركنًا وجلس ... وأخذوا يتحدَّثون، فقال «عاطف» ضاحكًا: لقد أصبحت مليونيرًا يا «عماد» ... فهذه التحف والمجوهرات تساوي الكثير!

عماد: إن «كراون» شريك لأبي ... وسيأخذ نصفها!

تختخ: سنرى ماذا سيحدث غدًا!

انقضى ليل الشتاء الطويل بطيئًا شديد البرودة ... وقرب الفجر نام الأصدقاء جميعًا ولم يتنبهوا إلا على صوت «لوزة» التي أيقظها البرد وهي تهزُّهم وتقول: لقد نسيتم شيئًا هامًّا، إننا لم نرَ «زنجر» منذ هاجم «زنهار» في الغابة!

ساد الصمت بعد هذه الكلمات، وأحسُّوا جميعًا بالجزع على «زنجر»، ثم قال «تختخ»: والآن لا بد من الصعود!

محب: سأَصعد أنا أولًا وحدي ... وابقوا هنا جميعًا!

وصعد «محب» السلَّم حتى وصل إلى باب النفق السري، وبحذر شديد أدار الرافعة الخشبية، وخرج ... ولم يكد يضع قدمه خارج الباب حتى سمع صوت جلبة شديدة، وصياح، وأغلق باب النفق خلفه، ومضى إلى نافذة المكتبة ونظر من خلف الزجاج، وكم كانت دهشته عندما شاهد رجال الشرطة يُحيطون بـ «كراون» و«مايلز» و«زنهار» وبعض الأشخاص الذين لم يرَهم من قبل ... وفي هذه اللحظة فُتح باب المكتبة الذي يؤدِّي إلى القصر، وظهرت عمة «عماد»، ولم تكَد ترى «محب» حتى صاحت: أين أنتم؟ لقد قمتُ في الفجر أبحث عنكم فلم أجدكم، وبمجرد أن اشتغل التليفون اتصلت برجال الشرطة!

ابتسم «محب» قائلًا: نحن جميعًا بخير، وحسنًا فعلتِ يا سيدتي ... فلن يحل هذه المشكلة إلا رجال الشرطة!

العمة: وأين بقية الأولاد؟ أين «عماد»؟

محب: إنهم جميعًا في النفق السري تحت الأرض حيث أخفى شقيقُك الأستاذ «حلمي» تحفه ومجوهراته!

وأسرع «محب» يَفتح باب النفق مرة أخرى ويُنادي الأصدقاء الذين خرجوا جميعًا، فصاح بهم: لقد حُلت المشاكل كلها دفعة واحدة، لقد حضر رجال الشرطة!

بعد ثلاث ساعات من هذه الأحداث كان المغامرون و«عماد» وعمته يجلسون في شرفة القصر، وقد ارتفعت في المساء شمس دافئة، وقال «عماد»: أعتذرُ لكم عما حدث لـ «زنجر»، لقد تضايق «زنهار» من هجومه عليه، فحبسَه في إحدى الغرف المهجورة!

قال «تختخ» وهو يربت على «زنجر»: إنَّ ما أحزنني أنه لم يشترك معنا في هذا اللغز!

قالت «العمة»: إنكم أبطال ... لقد اكتشفتم مكان التحف، وكشف رجال الشرطة عن حقيقة «كراون»، فإذا هو نصَّاب عالَمي يَحمِل أوراقًا مزوَّرة كشريكٍ لأخي!

قالت «نوسة»: إن ما أتمناه حقًّا أن يظهر الأستاذ «حلمي»!

قالت «العمة»: من يدري ... لعله يظهر اليوم أو غدًا ... إن قلبي يحدثني أنه لن يختفي إلى الأبد.


هنداوي